

تأليف

خالد أبو صالح



الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مدار الوطن للنشر الرياض

هاتف: ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس: ٤٧٢٣٩٤١ - ص ب: ٣٣١٠
فرع السويدي: هاتف: ٤٢٦٧١٧٧ - فاكس: ٤٢٦٧٣٧٧
المنطقة الغربية: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
منطقة الرياض: ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨
المنطقة الشمالية والقصيم: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٧
التوزيع الخيري: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤ - ٢٨٣١٤٥٣
التسويق والمعارض الخارجية: ٠٠١٤٧٣٨١٧٢ - ٠٥٠١٧٣٧٧٣٩

البريد الإلكتروني: pop@dar-alwatan.com
موقعنا على الإنترنت: www.madar-alwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يـــدي البحـث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعده، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فهذه بعض المباحث والقضايا وقَفْناها على الحديث عن جوانب العظمة المحمدية والفضائل النبوية والأخلاق الرسولية، التي تدلّ دلالة كاملة على عظمة النبي محمد ﷺ وصحة نبوته، وتدحض جميع الشبهات التي يثيرها المشككون حول نبوته.

ولقد أكثر الجاحدون لنبوة محمد ﷺ في هذا الزمان من إثارة الشبهات الواهية، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم في الافتراء على خاتم النبيين وإمام المرسلين، وجنَّدوا أقلامهم ومنابرهم الإعلامية المختلفة من صحف ومجلات وكتب ونشرات وقنوات فضائية و محطات إذاعية ورسائل إلكترونية وإنترنت، كل ذلك لتشويه صورة نبي الإسلام، ووصفه بما لا يليق به من أوصاف، حتى يُنفِّروا الناس من الإسلام ونبي الإسلام.

ولقد ساعدهم على ذلك غفلة كثير من المسلمين عن نصرة نبيّهم ﷺ، وجهلهم بجوانب عظمته وحقوقه على أمته. ولكن لمّا كثرت هذه الحملات، واشترك فيها معظم شرائح المجتمعات الغربية من رجال دين وساسة وفنانين ورياضيين وغيرهم، أصبح كثير من المسلمين يتساءلون: لماذا كلّ هذا العداء

للإسلام ونبي الإسلام؟!

ومع تنامي اليقظة الإسلامية في كل بقاع الأرض، ومع انتشار الإسلام في قلب أوروبا، أصبحت هذه الحملات تلقى استنكارًا شديدًا من قِبَل المسلمين في كل مكان، بل من قِبَل المنصفين من أهل الأديان الأخرى، لأنهم يرون أن هذه الحملات تقوِّض دعائم التعايش السلمي بين الناس، وتسهم فيما يسمى «صدام الحضارات» وهذا ـ بلا شك ـ يؤدي إلى مزيد من الصراعات والحروب التي يسقط فيها الآلاف بل الملايين من البشر.

وفي هذا الكتاب، سوف نحاول ـ بإذن الله تعالى ـ تسليط الضوء على شخصية هذا الرسول الكريم، وإظهار جوانب العظمة في تلك الشخصية.

كما سنعرِّج على شيء من صفاته وأخلاقه التي بهَرَ بها العقول، وشرح بها الصدور، وطهَّر بها القلوب.

كما سنبيِّن بالدليل العقلي والسمعي إثبات نبوته، وكونه أعظم الأنبياء والمرسلين، ولذلك اصطفاه تعالى ليكون خاتم رسله وأنبيائه.

كما سنردُّ على بعض الشبهات التي يثيرها المشكِّكون في نبوته، الطاعنون في رسالته. والله نسأل أن يهدينا إلى سواء السبيل.

* * *

حال البشرية قبل بعثة النبي ﷺ

كان أهل الأرض قبل بعثة النبي محمد ﷺ على صنفين:

الصنف الأول: أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى.

والصنف الثاني: من لا كتاب لهم[1].

الصنف الأول: أهل الكتاب

أما اليهود فقد كذَّبوا الأنبياء، وقتلوا كثيرًا منهم، وحرَّفوا التوراة، وأكلوا الربا، ونقضوا المواثيق، وكذَّبوا عيسى بن مريم عليه السلام، ورموه وأمَّه بالعظائم، وسعوا في قتله، وتكالبوا على الدنيا، وانغمسوا في الشهوات ، وكانوا قبل ذلك قد تعنَّتوا مع موسى أشدّ التعنت، حتى أن خيارهم سمعوا الربّ تعالى وهو يكلم موسى عليه السلام، فيأمره وينهاه، ويعهد إليه، فلما انكشف الغمام قالوا: ﴿يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، فهذا حال خيار اليهود، فكيف حال شرارهم؟!

وأما النصارى، فقد سبّوا الله تعالى مسبةً ما سبَّه إياها أحد من البشر، فلم يقروا بأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، بل قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، وإن مريم صاحبته، وإن المسيح ابنه، فهذا القول: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى

---

(١) انظر: «هداية الحيارى» لابن القيم، ص(١٢، ١٣).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٠ - ٩٥]، مع أن المسيح ـ كما في كتابهم المقدس ـ كان يتمتع بجميع الصفات البشرية التي يحملها كلّ البشر من جوع وعطش وتعب ونوم، وبكاء وضعف وحزن وصوم وعذاب وضرب وموت وفقدان وتوبيخ و تعلّم وانزعاج واشتهاء. ولقد ورد في إنجيل يوحنا (١٩/ ٢٨): «**قال يسوع: أنا عطشان**»، وفي متّى (٨/ ٢٤): «**وكان هو نائمًا**».

وفي يوحنا (٤/ ٦): «**فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر**».

وفي مرقس (١٤/ ٣٣): «**وابتدأ يسوع يدهش ويكتئب**».

وفي يوحنا (١١/ ٣٥): «**بكى يسوع**».

وفي لوقا (١١/ ٣٥): «**وقال لهم: شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم**».

فما هذا الإله الذي يعطش وينام ويتعب ويبكي ويشتهي، ثم هو كذلك يخاف من المخلوق الضعيف. كما في يوحنا (١١/ ٥٣-٥٤): «**فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه فلم يكن يسوع أيضًا يمشي بين اليهود علانيةً**».

وقد اعترف يسوع نفسه بأنه مرسل من قِبَل الله تعالى وذلك في كثير من مواضع الإنجيل، كما في يوحنا (٥/ ٢٤): «**الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي يؤمن بالذي أرسلني**»، وفي يوحنا (٧/ ٢٨): «**ومن نفسي لم آتِ، بل الذي أرسلني هو حق**».

بل ورد في الإنجيل أن المسيح عبد من عباد الله تعالى وهذا ينافي ألوهيته، ففي متّى (١٢/ ١٨): «**هذا عبدي الذي اصطفيته، وحبيبي الذي ارتاحت نفسي**

إليه، أضع روحي عليه، فيخبر الأمم بالحق». وقد حُرِّفت فيما بعد كلمة «عبدي» إلى «ابني» في عدة طبعات، وبقيت في بعضها[١].

وليس هذا فقط ما فعله النصارى بدينهم، بل إنهم أحلوا المحرمات، فشربوا الخمور، وأكلوا الخنزير، وتركوا الختان، وأقدموا على الزنا، واستباحوا كل خبيث، وقهروا المرأة وعدوها شيطانًا في صورة إنسان، وعبدوا رهبانهم من دون الله، فالحلال ما أحلّه القسّ، والحرام ما حرمه، والدين ما حدّده، وهو الذي يغفر لهم الذنوب، ويباركهم وينجيهم من عذاب السعير.

الصنف الثاني: من لا كتاب لهم

فهؤلاء ما بين عابد أوثان، وعابد نيران، وعابد شيطان، ومتردد حيران، يجمعهم الشرك وتكذيب الرسل، وجحد الشرائع، وإنكار القيامة وحشر الأجساد، فلا يدينون للخالق بدين، ولا يعبدونه مع العابدين، ولا يوحِّدونه مع الموحدين.

هذا هو حال البشرية قبل مبعث خير البرية، فكانت الظروف مهيئة لطلوع شمس رسالة الإسلام، لتصحيح مسار البشرية، وتوجيهها إلى طريق الهداية والفطرة السليمة.

ويصور الشيخ أحمد ديدات حاجة البشرية إلى بعثة خير البرية قائلاً: «لو درست تاريخ العالم حتى الآن، سيخبرك أن الوقت الذي أمر فيه الله سبحانه وتعالى خاتم أنبيائه ورسله محمدًا ﷺ أن يعلن للناس رسالته كان من أشدّ الأوقات ظلامًا.

لقد كانت الحاجة ماسّة إلى أحد أمرين: إما إرسال نبيّ مرسل خاتم للأنبياء

(١) انظر كتاب: «الردّ» لعبد الرحمن عمر بكري، ص(٦٤-٧٣).

والرسل لكلّ ركن وكل أمة من أركان وأمم العالم، أو إرسال نبي مرسل خاتم للأنبياء والرسل إلى كل البشر في كل أمم و أركان العالم، لكي يخلص ويحرر كل البشر من الزيف، والخرافة، والأنانية، وتعدد الآلهة، والضلال، وظلم وقهر الإنسان لأخيه الإنسان وتكون رسالة خاتم أنبياء ورسل الله موجهة من الله إلى الإنسانية كلها.

واقتضت مشيئة الله وحكمته أن يختار لهذه الرسالة الخاتمة النبي محمدًا خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ويكون من أعماق أكثر مناطق الأرض تخلفًا قبل بعثه إلى البشر كافة، من شبه الجزيرة العربية. وهذه الحقيقة أن رسالة نبي الإسلام كانت رسالة لكل البشر، قد سجلها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

لا مجال هنا لتمييز جنس على آخر، أو تفضيل أمة على أمة أخرى. لا مجال هنا الآن «للشعب المختار»، أو «بذرة إبراهيم»، أو «نسل داود»، أو «هندو آريا فارتا»، أو «اليهود»، أو «الجوييم»، أو «العرب»، أو «العجم» (الفرس)، «الأتراك أو الطاجيك»، «الأوربيين أو الآسيويين»، «البيض أو الملونين»، «الآريين أو الساميين»، «المغول أو الأفارقة»، «الأمريكي أو الاسترالي أو البولندي». إنه لكل الناس ولكل المخلوقات التي حباها الله القدرة على تحمل المسؤولية الروحية. إنه يقدم المبادئ السليمة لكل العالم»[1].

فأشرقت الأرض بنور هذه الرسالة، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقال: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ

---

(١) «محمد ﷺ أعظم عظماء العالم»، أحمد ديدات، ترجمة علي الجوهري، ص(٦٨، ٦٩).

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فاختار الله محمدًا ﷺ ليكون آخر حبة في عقد النبوة، فانطلق ﷺ من جزيرة العرب يدعو إلى التوحيد، ويقدم الدلائل الباهرة على صدق نبوته، ويقيم الحجة تلو الحجة على الكفار المعاندين، وصبر النبي ﷺ على كافة صنوف الأذى والاضطهاد، فإنهم تآمروا على قتله عدة مرات، وأخرجوه من بلده، وحاصروه اقتصاديًّا، وعذبوا أصحابه، وقهروهم، حتى أذن الله تعالى بالنصر، ففُتحت مكة وصارت دار إسلام، واستمرت شمس الرسالة بعد ذلك تنتقل من بلد إلى بلد، حتى ظهر للعيان أمة كبيرة امتد جناح ملكها من نهر ثاجه في أسبانيا إلى نهر الفنج في الهند، ورفعت على منارِ الإشادة أعلام التمدن في أقطار الأرض، بينما كانت أوربا مظلمة بجهالات القرون الوسطى.

قال «ويل ديورانت » مؤلف كتاب «قصة الحضارة»: **«لقد ظلَّ الإسلام خمسة قرون على الأقل من عام ٧٠٠م إلى ١٢٠٠م يتزعم العالم كله في القوة والنظام وبسط الملك، وجميل الطباع، والأخلاق، وفي ارتفاع مستوى الحياة، وفي التشريع الإنساني الرحيم، والتسامح الديني، والآداب، والبحث العلمي، والعلوم، والطب، والفلسفة... إلخ»**[١].

* * *

(١) «الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب»، ص(١٦٧).

من هو محمد ﷺ ؟

ليس هناك أبسط من قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩] لتعرف من هو محمد ﷺ.. إنه رسول الله، بل خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي أرسله الله لهداية البشرية، بعد أن ضاعت معالم الدين الصحيح الذي بعث الله به موسى وعيسى، وحُرّفت التوراة والإنجيل، وملأ الشرك والظلم والطغيان الآفاق.

محمد ﷺ هو ابن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، ويرجع نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. وأمه هي آمنة بنت وهب، تزوجها عبدالله والد النبي ﷺ زواجًا صحيحًا، فلم تلبث أن حملت بالنبي ﷺ.

وقد صان الله عبدالله والد النبي ﷺ من زلة الزنا، ليكون نسبه ﷺ نسبًا شريفًا طاهرًا لا مطعن فيه.

قال النبي ﷺ: «**خرجتُ من نكاح، ولم أخرج من سفاح**»[١].

ولقد ولد النبي ﷺ يوم الاثنين في التاسع أو في الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل[٢]. الموافق (٢٢) أبريل عام (٥٧١) من ميلاد السيد المسيح عليه السلام.

توفي أبوه وهو حَمْلٌ في بطن أمه، ثم توفيت أمّه وهو في السادسة من

(١) رواه الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع».
(٢) وهو العام الذي غزا فيه أبرهة الكعبة بفيلة عظيمة.

عمره، فكفله جدّه عبدالمطلب، الذي توفي هو الآخر والنبيّ ﷺ لم يتجاوز الثامنة من عمره، فأوصى به إلى عمه أبي طالب الذي اهتم به ورعاه وأحسن معاملته، مع أنه لم يؤمن ببعثة النبي ﷺ، واستمر على شركه إلى أن مات. وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وقد صان الله نبيَّه ﷺ من دنس الجاهلية، وطهره من عيوبها، ومنحه كلَّ خلق جميل، حتى أنه لم يكن يُعْرَف بين قومه إلا بالأمين، وهذه غاية التزكية عندهم، وذلك لما شاهدوه من طهارته وصدق حديثه وأمانته.

عاش النبيّ ﷺ فترة شبابه بعيدًا عن حياة اللهو والعبث التي اشتهر بها الشباب في ذلك الوقت، وما إن وصل عمره إلى الخامسة والعشرين حتى تزوج من خديجة بنت خويلد، وكانت في الأربعين من عمرها. وهي امرأة شريفة تتمتع بمكانة اجتماعية ومالية عظيمة، فما إن سمعت بأخلاق النبي ﷺ حتى رغبت في أن يباشر تجارتها في الشام، فوافق النبي ﷺ، فسافر إلى الشام، وأرسلت معه غلامها ميسرة ليكون مساعدًا له.

وقد رأى ميسرة ما بَهَره من شأنه، وما كان يتحلى به من صدق وأمانة وكريم خلق.

فلما رجع أخبر سيدته بما رأى، فرغبت في الزواج منه، فتزوجها النبي ﷺ، ومكث معها زوجًا وفيًّا خمسًا وعشرين سنة، لم يتزوج غيرها حتى ماتت، فلما ماتت تزوج النبيّ ﷺ جملةً من النساء لحكم وفوائد كثيرة.

حبّب الله إلى نبيه ﷺ الاختلاء بالنفس للتأمل و التفكر، وكان يفعل ذلك في

غار حراء، وظلّ على هذه الحال حتى وصل عمره إلى الأربعين، وهو عمر الكمال.

وبينما هو في غار حراء يتأمل إذ نزل عليه الملك، فقال له: اقرأ. فقال: لست بقارئ. وكرر ذلك ثلاثًا. ثم قال الملك: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق: ١-٥].

فرجع رسول الله ﷺ إلى خديجة رضي الله عنها وهو يرتجف، فأخبرها بما حدث له في الغار، فكانت نعم الزوجة والمعين، حيث طمأنته وهدأته وقدمت له الدعم الكامل في هذا الوقت العصيب، وقالت له: لا تخف. والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتَصدق الحديث، وتحملُ الكَلَّ - أي تنفق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك - وتُكسبُ المعدوم - أي تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من النفائس ومكارم الأخلاق - وتَقْري الضيفَ - أي تطعمه وتكرمه - وتعينُ على نوائب الحقِّ - أي تشارك أصحاب الحوادث في حوادثهم من خير أو شر.

ثم ذهبت خديجة بالنبيّ ﷺ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وهو شيخ كبير قد عمي، وكان قد تنصّر ودرس الإنجيل، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة للنبي ﷺ: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى في الغار. فقال له ورقة: هذا الوحي الذي أنزل على موسى. ثم قال له ورقة: ليتني كنت شابًّا لأنصرك حين يخرجك قومك. فقال له رسول الله ﷺ: **«أومُخرجيَّ هم؟»** قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قطّ بما جئتَ به إلا عودي، وإن

يُدركني يومُك أنصرك نصرًا مؤزّرًا[١].

ثم انقطع الوحي مدة، فمكث رسول الله ﷺ فترة لا يرى شيئًا، فاغتم لذلك و حزن، ثم نزل عليه الوحي بعد ذلك بالآيات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: ١-٤].

فلما نزلت هذه الآيات، علم النبي ﷺ أن الأمر جدّ، وأنه رسول الله حقًّا، فقال: «مضى عهد النوم يا خديجة». فشمّر ﷺ عن ساق التكليف، وقام في طاعة الله أتم قيام، ودعا إلى الإسلامِ الكبيرَ والصغيرَ، والحرَّ و العبد، والرجال والنساء، والأبيض والأسود، فاستجاب له مَن أراد الله سعادته في الدنيا والآخرة، فدخلوا في الإسلام على نور وبصيرة، وصبروا على الأذى والاضطهاد، والحصار والتجويع، والقتل والتشريد، كلّ ذلك حبًّا لله ورسوله ﷺ، وإيماناً بعظمة الرسالة وصدق التعاليم.

لقد بقي النبي ﷺ ثلاث سنين يدعو سرًّا، ويختبئ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، ثم نزل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فجهر بالدعوة، وذهب إلى الناس في أسواقهم وأنديتهم يدعوهم إلى الإسلام، ويرغبهم فيه، ويرهبهم من الكفر والعناد واتباع الهوى.

ولقد لقي ﷺ من قومه صنوفًا من الأذى والاحتقار والتكذيب، ولكنه ﷺ كان صابرًا محتسبًا، غير مكترث لما يصيبه من أذى في سبيل الله.

ذهب ذات مرةٍ إلى الطائف لدعوة قبائلها، فقابلوه أسوأ مقابلة، وأغروا به سفهاءهم، فضربوه بالحجارة حتى أدموا قدمه، فرجع حزينًا مهموماً منكسر الخاطر من شدة الأذى و التكذيب.

واستمر رسول الله ﷺ في الدعوة والصبر على الأذى، حتى قيّض الله له ستة

---

(١) متفق عليه.

أشخاص من المدينة، دعاهم فأسلموا، ثم رجعوا إلى المدينة فدعوا قومهم إلى الإسلام، وقد شكّل هؤلاء النواة الأولى للدعوة في المدينة.

ثم جاء اثنا عشر رجلاً من المدينة منهم خمسة من الستة المذكورين، فبايعوا النبي ﷺ، وتعلموا منه شيئًا، ثم رجعوا إلى المدينة لينشروا ما تعلموه من النبي ﷺ، وبسبب هؤلاء انتشر الإسلام في المدينة حتى عم قبائل المدينة كلها.

ثم وفد على رسول الله ﷺ من أهل المدينة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، فبايعوا رسول الله ﷺ، وأخذوا عنه مُجْملَ تعاليم الإسلام، ثم رجعوا إلى المدينة فانتشر الإسلام في كلّ بيت فيها.

أصبحت المدينة مهيئة لتكون قاعدة الانطلاق لهذا الدين، فأمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة بعد أن اشتد عليهم الأذى والاضطهاد والتعذيب بمكة، فهاجروا، ثم هاجر النبي ﷺ هو وصاحبه أبوبكر إلى المدينة، فلما دخلها تلقاه أهلها بالفرح والسرور، فبنى مسجده ومنزله، وأقام مجتمع العدل والمساواة، ثم أُذن له بعد ذلك في القتال للدفاع عن النفس وعن العقيدة. قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، وقال: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وما زال ﷺ يلطف بالخلق، ويريهم المعجزات، ويعفو عنهم، ويصبر على أخطائهم، حتى فتح الله له القلوب، وأنار به البصائر، فَفُتحت مكة في السنة الثامنة من الهجرة، وعفا ﷺ عن أهلها، فأسلم كثير من أهلها بعد ذلك، واستمر ﷺ في الدعوة والجهاد حتى مرض وتوفي - بأبي هو وأمي - في السنة الحادية عشرة من الهجرة.

* * *

من الذي علّم محمدًا؟

ذكرنا أنه ﷺ نشأ يتيمًا، فهو لم ير أباه، ولم يتعلم شيئًا من أمه، لأنه أرسل إلى البادية، ليكمل رضاعه، ويتعود شدة العيش في البادية، وكانت هذه عادة العرب قبل الإسلام، فمكث ﷺ في البادية ـ بعيدًا عن أمه ـ نحوًا من خمس سنين، ثم ماتت أمه وهو في السادسة، ومات جدّه المتكفل به وهو في الثامنة.

أما عمه أبوطالب الذي مكث معه سنين طويلة، فإنه لم يهتم بجانب تعليمه، فنشأ رسول الله ﷺ أميًّا لا يقرأ ولا يكتب.

كما أن النبي ﷺ لم يكن له اهتمام بالأدب والشعر ومجالس الشعراء ومنتدياتهم، وكان هذا هو النشاط الذي برع فيه قومه، وأولوه عناية فائقة، حتى أنهم كانوا يعلّقون القصائد الرائعة على جدران الكعبة المشرفة تشريفًا لأصحابها.

لعلّ الحكمة قد اتضحت من فَقْد النبي ﷺ لكلّ مصادر التعليم والتثقيف، التي يمكن من خلالها أن يطلع على الأديان والثقافات والحضارات الأخرى، وهذه الحكمة هي تهيئة النبي ﷺ لرسالة السماء، فيتولى الله تبارك وتعالى تعليمه بنفسه كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. وقال: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

كما أن مولده ﷺ في مكة، وهي المكان المنعزل عن الحضارة، الذي يحيط به الجبال من كل مكان، ليدل كذلك على أن هذه الرسالة التي دعا إليها النبي ﷺ

إنما هي رسالة إلهية؛ لأنه من المستحيل أن يأتي رجل أُمي، يعيش في هذه الصحراء، تحيط به الجبال من كل جانب، لم يجلس إلى معلم، ولم يتثقف على يد مربي، ولم يقرأ كتابًا، ولم يكتب بيده قط، ثم يُنشئ دينًا عظيمًا متكاملاً من جميع جوانبه، سواء في جانب العقيدة، أو العبادة، أو الأخلاق، أو المعاملات، ويكون لهذا الدين حكم في كافة مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية والعسكرية.

ثم يأتي هذا الرجل الأمي فيؤلِّف كتابًا يسميه «القرآن» يتحدى به جميع العرب الذين اشتهروا بالفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله، فعجزوا واعترفوا بالعجز وسلّموا لهذا الكتاب.

ثم يأتي هذا الأمي فيؤلِّف لنفسه كلامًا آخر فصيحًا بليغًا، ولكنه مغاير للكلام الأول في نظمه وإعجازه، وهو ما يطلق عليه «الحديث النبوي»، هذا مع ما في القرآن والحديث النبوي من أخبار عن الأنبياء والمرسلين، وماذا قالوا لقومهم، وبماذا ردَّ قومهم عليهم، وكيف كانت عاقبة المكذبين، ففي القرآن من قصص آدم وإبراهيم وموسى وعيسى ما يتوافق مع ما يذكره أهل الكتاب في كتبهم، وما يخالف تلك الكتب، وما لا علم لهم به أصلاً مما لم يذكر في تلك الكتب.

إضافة إلى الإخبار عن الأمور الغيبية التي أخبر بحدوثها فحدثت كما أخبر، و الاكتشافات العلمية التي ظهرت حديثًا ولم تكن معروفة قبل ذلك، فمن الذي علّم هذا اليتيم الأميّ كل ذلك؟

ومن الذي أطلعه على عالم الغيب؟

ومن الذي قصّ عليه قصص الأنبياء من قبله، وأعطاه من دقائق المعلومات ما يجهله أتباع الأنبياء أنفسهم أو الذين يزعمون أنهم أتباعهم.

لماذا تكذبون محمدًا ﷺ؟

إن المسيحيين لا يعترفون بالإسلام كديانة سماوية، ولا بالنبي محمد ﷺ كنبي ورسول مرسل من قِبَل الله تعالى. ومحمد ﷺ كما في دائرة المعارف لاروس الفرنسية هو «ساحر، ممعنٌ في فساد الخُلق، لصٌّ نياق، كاردينال، لم ينجح في الوصول إلى كرسي البابوية، فاخترع دينًا جديدًا لينتقم من زملائه».

بهذه السذاجة والوقاحة يصوّر أعظم رجل في التاريخ بشهادة كثير من عظماء مفكري الغرب المسيحيين أنفسهم.

إني لأسأل الذين لا يؤمنون بالنبي ﷺ ويكذبونه من أهل الكتاب، فأقول لهم: كيف يكون محمد ﷺ كاذبًا وهو الذي لم يجرّب عليه الناس كذبًا قط، حتى عرفه قومه بالصادق الأمين؟

كيف يكون كاذبًا على الله تعالى، ثم ينصره الله على أعدائه هذا النصر المبين؟

كيف يكون كاذبًا ثم تتسع دولته كل هذا الاتساع؟

كيف يكون كاذبًا ويصل أتباعه في العالم اليوم إلى أكثر من مليار وربع المليار نسمة؟

كيف يكون كاذبًا ولازال دينه ينتشر بشكل مذهل في العالم وبخاصة في أوربا وأمريكا وهما قلب العالم الغربي المسيحي.

إن بين يديَّ تقريرًا حديثًا لصحيفة «لاكسبريس» الفرنسية؛ ذكر أن أعداد المسلمين في فرنسا في ازدياد من كافة الطبقات والمهن، وكذلك من مختلف المذاهب الفكرية والأديان، وأشار التقرير إلى أن عدد المعتنقين الجدد للإسلام

من الفرنسيين يصل إلى (٦٠) ألفًا، خلال الأعوام القليلة الماضية، وأشار متخصص في وزارة الداخلية إلى أن الكثيرين يعتنقون الدين الإسلامي يوميًا!!

وتساءلت مجلة «لاكسبريس» عن وجه الشبه بين هذا الطالب الذي يساعد المرضى في منطقة «جريني»، وفنان الراب في مدينة «مرسيليا» المسمى «أخناتون» ولاعب الكرة «فرانك ريبري» ومصمم الرقصات «موريس بيجار» وأيضًا «كليمون» أصغر أبناء رئيس وزراء الحزب الاشتراكي السابق «موريس توريز» كل هؤلاء أعلنوا إسلامهم منذ فترة ليست بالبعيدة.

هناك مهندسون، جامعيون، رؤساء شركات، مدربون، مدرسون، طلاب، عاطلون، متدينون بشكل واضح، كل هؤلاء يشكلون لبنة جديدة في المجتمع الإسلامي الجديد في فرنسا[١].

وليس هذا الأمر خاصًا بفرنسا وحدها، بل هي ظاهرة عامة يشهدها المجتمع الأمريكي والأوربي كله بل العالم أجمع، وهذا يذكرنا بما قاله الأيرلندي الشهير «برنارد شو» الذي ألف كتابًا عن النبي محمد ﷺ، إلا أن سلطات بلاده أحرقت هذا الكتاب، بسبب ما كان فيه من مدح وثناء واعتراف بنبوة هذا النبي، وذكر الجوانب الإنسانية العظيمة في شخصيته.

ومن أقوال «برنارد شو» عن انتشار الإسلام: «لا مشاحةَ في أن العالم يعلق أهمية كبيرة على نبوءات كبار الرجال، لقد تنبأت بأن دين محمد ﷺ[٢] سيكون مقبولاً لدى أوربا في الغد القريب، وقد بدأ يكون مقبولاً لديهم اليوم.

في الوقت الحاضر، دخل كثير من أبناء قومي من أهل أوربا في دين محمد ﷺ، حتى ليمكن أن يقال: لقد بدأت أوربا الآن تتعشق الإسلام، ولن يمضي القرن

---

(١) موقع مفكرة الإسلام على الإنترنت، تقرير مترجم، السبت ١ إبريل ٢٠٠٦م.

(٢) كلمة ﷺ ليست موجودة في جميع أقوال الغربيين.

الحادي والعشرون حتى تكون أوربا قد بدأت تستعين به في حلّ مشكلاتها»[١].

فكيف يكون محمد ﷺ كاذبًا ودينه بهذه القوة والحيوية والانتشار رغم مرور أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، بل إنه يزداد قوة باعتناق الأوربيين البيض له وهم أصحاب المدنية والقوة والهيمنة على العالم، وهذا يدلّ على أنهم وجدوا في الإسلام ما لم يجدوه في غيره من أديان.

قال أبوالوفاء بن عقيل: «ومن أكبر الدلائل على صدق نبينا ﷺ أن الباري سبحانه إنما يمهل الكذاب يسيرًا، ثم يستأصله بالعذاب.

أفيجوز أن يمهل من يكذب عليه سنين، ثم يُثَبِّتُ شريعته بعد وفاته؟!

وقد أقدم على نسخ شريعتين قبله[٢]، وحلّل السبت، ثم ينصر أتباعه على الأمم، ويؤيد حكمته بالإعجاز؟! حاشاه أن يفعل ذلك، إذ لو فعله لم يتبين الصدق من المحال. ألم تسمعه تعالى يقول: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤- ٤٦] **فمن طعن في صدقه ﷺ طعن في عدل الباري وحكمته؛ لأن الطعن يتوجه على المُعين»[٣].**

لقد كان هرقل ملك الروم عاقلاً حينما علم أن النبي ﷺ ما كان ليذر الكذب على الخلق، ويكذب على الخالق سبحانه وتعالى، وإليكم هذه المحاورة التي تبين صحة نبوة نبينا محمد ﷺ وعالمية الإسلام، وفيها إشارة إلى منهج العقلاء في الحكم على الناس وتقويمهم.

فقد أرسل رسول الله ﷺ كتابًا إلى هرقل عظيم الروم جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ

---

(١) «آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب» ـ أنور الجندي ـ ص(٢٤٤).

(٢) يعني شريعة موسى وشريعة عيسى عليهما السلام.

(٣) «الوفا بأحوال المصطفى» لابن الجوزي، ص(٣٥٧).

على مَن اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليتَ فعليك إثم الأريسيين: و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]».

فلما جاء قيصر كتابُ النبي ﷺ وقرأه قال: التمسوا لي رجلاً من قومه أسأله عنه.

قال أبوسفيان ـ وكان لا يزال مشركًا، مكذبًا بالنبي ﷺ ـ: فأتاني رسول قيصر، فانطلق بي وبأصحابي وأدخلنا عليه، فإذا هو جالس في مجلس مُلكه، عليه التاج، وإذا حوله عظماء الروم.

فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسبًا من هذا الرجل؟

قال أبوسفيان: أنا.

قال القيصر: وما قرابتك منه؟

قال: ابن عمي.

قال قيصر: ادنُ مني. ثم أمر بأصحابي، فجُعلوا خلف ظهري. ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه: إني سائل هذا عن محمدٍ، فإن كذبني فكذّبوه.

قال أبوسفيان: فوالله لولا الحياء يومئذٍ أن يَأْثر أصحابي عني الكذبَ لكَذَبتُه حين سألني، ولكني استحييتُ أن يأثروا عني الكذب فَصَدَقتُه عنه[١].

ثم قال لترجمانه: قل له: كيف نَسَبُ هذا الرجل فيكم؟

قال أبوسفيان: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول أحدٌ قبله؟

قال أبوسفيان: لا.

---

(١) فانظر كيف كان الكذب أمرًا شنيعًا عند العرب حتى عند أولئك الذين كذبوا النبي ﷺ وحاربوه.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قال أبو سفيان: لا.

قال: فهل كان من آبائه مَلِك؟

قال أبو سفيان: لا.

قال: فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟

قال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم.

قال: فيزيدون أم ينقصون؟

قال أبو سفيان: بل يزيدون[١].

قال: فهل يرتد أحدٌ منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟

قال أبو سفيان: لا.

قال: فهل يغدر؟

قال أبو سفيان: لا. ونحن الآن منه في مُدَّة[٢]، ونحن نخاف ذلك.

قال: فهل قاتلتموه وقاتلكم؟

قال أبو سفيان: نعم.

قال: فكيف كانت حربه وحربكم؟

قال أبو سفيان: كانت دولاً سجالاً، يُدال علينا المرة، وندالُ عليه الأخرى.

قال: فبم يأمركم؟

قال أبو سفيان: **يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، و يأمرنا بالصلاة والصدقِ والعفاف، والصِّلة، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة.**

---

(١) وهذه الزيادة مستمرة إلى اليوم بعد مضي أكثر من أربعة عشر قرنًا من هذه المحاورة والحمد لله.

(٢) أي في معاهدة صلح وهو المعروف بـ«صلح الحديبية».

وهنا قال قيصر: إني سألتك عن نسبه فيكم، فزعمت[١] أنه فيكم ذو نسب؛ وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها.

وسألتك: هل قال هذا القول أحدٌ قبله؟ فزعمت أن لا. فقلت: لو كان أحدٌ قال هذا القولَ قبله لقلت: رجلٌ يتأسى بقولٍ قيل قبله.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا. فقد عرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله!

وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فزعمت أن لا. فقلت: لو كان من آبائه ملك، قلت: رجل يطلب مُلك آبائه.

وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فزعمت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتك: أيرتد أحدٌ سُخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فزعمت أن لا. وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوبَ.

وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أن لا. وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: هل قاتلتموه وقاتلكم؟ فزعمت أن قد فعل، وأن حربه وحربكم تكون دولاً، يُدال عليكم مرة، وتدالون عليه أخرى. وكذلك الرسل تُبتلى، ثم تكون لها العاقبة.

وسألتك: بماذا يأمركم؟ فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، **وهذه صفة نبي كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أظن أنه منكم.**

---

(١) زعمت: أخبرت.

وإن يكن ما قلتَ حقًّا فيوشك أن يملك موضع قدميَّ هاتين، والله لو أعلم أني أخلُص إليه، لتجشَّمتُ لقاءه، ولو كنت عنده، لغسلت عن قدميه(١).

ويروى أنه أمر ببطارقة الروم، فجمعوا له في دسكرة(٢)، وأغلقت أبوابها، ثم اطّلع عليهم من عُلِّيَّةٍ له وخافهم على نفسه، فقال: يا معشر الروم! إنه أتاني كتاب هذا الرجل، يدعوني إلى دينه، **وإنه - والله - للنبيّ الذي كنا ننتظره ونجده في كتبنا، فَهَلُمَّ فلنتَّبعه، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا.**

فنخر البطارقة نخرة رجل واحدٍ، ثم اتجهوا إلى الأبواب فوجدوها قد أغلقت. فقال هرقل: ردوهم. فقال: يا معشر الروم! إنما قلت لكم ذلك، لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، فقد رأيت الذي أُسَرُّ به. فوقعوا سجدًا له وانطلقوا.

وفي بعض الروايات أنه قال لحامل رسالة النبي ﷺ: **والله إني لأعلم أن صاحبك نبيٌّ مرسل، و أنه الذي كنا ننتظره، ولكني أخاف على نفسي من الروم، ولولا ذلك لاتبعته**(٣).

فانظر إلى هذا الداهية كيف عرف من خلال أسئلة محددة صدق النبي ﷺ وصحة نبوته، وأنه النبي المنتظر الذي بشرت به الأنبياء في كتبهم. ولكنه آثر الملك على الإيمان، وخاف من عدوان البطارقة وقيامهم بتأليب الناس والثورة ضده، فلم يسلم.



---

(١) متفق عليه.

(٢) دسكرة: بناء كالقصر يكون للملوك.

(٣) ذكر هذه الروايات: ابن الجوزي في «الوفا بأحوال المصطفى» ص(٧٤١).

البشارات بالنبي محمد ﷺ

يزعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن النبيَّ ﷺ ليس له ذكر في التوراة والإنجيل، وبذلك لا يكون نبيًا؛ لأنه لو كان نبيًّا لذكر كما ذكر غيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام.

وللإجابة على هذه الشبهة نقول:

أولاً: أين هي التوراة والإنجيل؟ أعني التوراة التي أنزلت على موسى، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليهما السلام؟ فالعهد القديم مثلاً عبارة عن نصوص متفرقة مجهولة الأصل، ثم إن هذه النصوص قد حرقت عندما قام الآشوريون بهدم دولة إسرائيل، وقد أعيدت كتابتها ثانية بعد عدة أجيال اعتمادًا على التراث الشفهي، وهذا الكتاب يتضمن أمورًا لا يمكن أن تكون وحيًا من الله تعالى كالأمر بالإبادة الجماعية كما في سفر التثنية (٢٠/ ١٦) على لسان الرب إذ يقول: «**وأما مدن الشعوب التي يهبها الربّ ميراثًا، فلا تستبقوا فيها نسمة حيّة، بل دمّروها عن بكرة أبيها كمدن الحِثّيِّين، والأموريين، والكنعانيين، والفرزّيّين، والحوِّيِّين، واليبوسيين كما أمركم الربُّ إلهكم**»، فهذه إبادة جماعية لا يمكن أن يصدر ذلك عن الربّ تبارك وتعالى. حتى الأطفال فإنهم لم يسلموا من الذبح بأمر الربّ تعالى كما في سفر إشعيا (١٣/ ١٦): «**وتُحطّم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساءهم**»، كما أن السفر المسمى «نشيد الإنشاد» يمثل نصًّا جنسيًّا إباحيًّا كاملاً لا يمكن أن يصدر عن الربّ تعالى.

وأما الإنجيل فإن النصارى أنفسهم يعترفون بضياع الإنجيل الأصلي الذي

أنزل على عيسى عليه السلام، وأن هذه الأناجيل الأربعة قد كتبت بعد رفع عيسى عليه السلام. فنحن نرى أن الأيدي تلاعبت بهذه الكتب كلها، فحذفت منها أمورًا، وزادت فيها أشياء، ومن الطبيعي أن يكون من جملة الأمور المحذوفة تفاصيل ذكر نبوة محمد ﷺ.

ثانيًا: ليس من شرط صحة نبوة النبي أن يكون مذكورًا فيما سبقه من كتب، والدليل على ذلك أن موسى عليه السلام وهو من أعظم أنبياء بني إسرائيل لم يكن مذكورًا في الكتب السابقة عليه.

ثالثاً: ما يدلّ على وجود ذكر النبي ﷺ في التوراة والإنجيل، أن النبي ﷺ عندما بعث أخبر اليهود والنصارى بأنه مذكور في كتبهم، وكان ﷺ أحرص الناس على تقديم ما يدلّ على صدقه ليتبعه الناس، فلو أخبرهم بشيء يعلمون بطلانه وعدم وجوده، لكان ذلك من أعظم المنفرات لهم عن اتباعه، ولا يفعل ذلك عاقل أبدًا. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

رابعًا: أن المؤمنين من الأحبار والرهبان الذين آثروا الحق على الباطل صدقوه في ذلك وشهدوا له بما قال. ومن هؤلاء قديمًا: عبدالله بن سلام كبير أحبار اليهود، والنجاشي ملك الحبشة، وعديّ بن حاتم الطائي، وسلمان الفارسي، كانوا نصارى فآمنوا بالنبي ﷺ وصدقوه.

ومن الذين أسلموا بسبب البشارات: القس الأسباني إنسلم تورميدا، الذي

ألف كتاب «تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب» عام (٨٢٣هـ).

وفي العصر الحديث أسلم الكثيرون بسبب هذه البشارات، منهم المفكر الفرنسي موريس بوكاي.

خامسًا: أن المكذبين والجاحدين لنبوة محمد ﷺ لم يمكنهم إنكار وجود البشارات، ولكنهم صرفوا هذه البشارات عنه إلى غيره.

سادسًا: من الممتنع أن تخلو الكتب المتقدمة عن الإخبار بأمر هذا الرجل الذي سيظهر، و يدعو إلى عبادة الله و حده، ويلغي شرائع من قبله، وينتصر على أعدائه، ويتسع نفوذه في الأرض، حتى تتسع دولته و مملكته بحيث لا تغيب عنها الشمس، ويكثر أتباعه حتى لا يُحْصَوْن كثرةً. كيف أن الكتاب المقدس الذي حوى أمورًا تافهة لا فائدة منها، يغفل عن ذكر هذا الأمر العظيم الذي ليس هناك أعظم منه على وجه الأرض[1]؟!

سابعًا: نظرًا لكثرة هذه البشارات بالنبي ﷺ في التوراة والإنجيل فإن علماء اليهود والنصارى، لم يستطيعوا حذفها بالكلية، وإنما تركوا بعض هذه البشارات، ولكنهم أنكروا أن تكون دالة على نبوة محمد ﷺ، ولكن المتأمل في هذه البشارات يجد أنها صريحة في الدلالة على نبوة محمد ﷺ، وهذه البشارات كثيرة في العهدين القديم والجديد، وسوف أذكر بعضها مع تعليق بسيط للربط بينها وبين نبوة محمد ﷺ.

١ـ جاء في إنجيل متّى (٢١/ ٤٢): قال لهم يسوع: **«أما قرأتم قطّ في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الربّ. كان**

(١) انظر: «هداية الحيارى» ص(٥٦).

هذا عجيبًا في أعيننا. لذلك أقول لكم: إن ملكوت اللهُ ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره».

والحجر الذي رفضه البناؤون هو محمد ﷺ، رفض البناؤون وضعه في عهد موسى وعيسى؛ لأن النبوة لم تكتمل بهما، فلما جاء محمد ﷺ اكتمل البناء بوضع هذا الحجر. وقد ذكر النبي ﷺ ما يطابق هذه البشارة تمامًا فقال: «**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجلٍ بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبهم البناء فيقولون: ألا وضعت هنا لبنة فيتم البناء؟** قال رسول الله ﷺ: **فأنا اللبنة، جئت فختمتُ الأنبياء**»(١).

فسبحان من جعل كلام هذين النبيين العظيمين يخرج من مشكاة واحدة ومصدر واحد.

أما قوله: «**إن ملكوت الله ينزع منكم، و يعطى لأمة تعمل أثماره**» فإشارة إلى انتقال النبوة من أبناء إسحاق إلى أبناء إسماعيل عليهما السلام، والأمة هي أمة محمد ﷺ.

٢ـ جاء في إنجيل يوحنا (٤/ ١٩ـ٢١): «**قالت المرأة ـ أي السامرية ـ له: يا سيد! أرى أنك نبي. آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون: في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه. فقال لها يسوع: يا امرأة! صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للرب**».

وهذه دلالة واضحة على تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة. وقد كان النبي ﷺ يصلي متجهًا إلى بيت المقدس، واستمر على ذلك بضعة عشر شهرًا، حتى نزل قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ

---

(١) متفق عليه.

فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

٣- ما جاء في إنجيل يوحنا (١٤/ ٣٠): قال المسيح: «**لن أخاطبكم بعد طويلاً، لأن سيد هذا العالم سيجيء**».

ومن هو سيد العالم غير محمد ﷺ، فقد ختم الله به النبوة، وأعطاه الشريعة الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان، وجعل أمته أسياد العالم عندما كانوا مستمسكين بشريعته.

٤- وفي يوحنا (١٤/ ١٦) قال يسوع المسيح: «**ابن البشر ذاهب، والفارقليط من بعده يجيء لكم بالأسرار، ويفسر لكم كلَّ شيء، وهو يشهد لي كما شهدت له، فإني أجيئكم بالأمثال، وهو يأتيكم بالتأويل**».

وفي يوحنا (١٦/ ٥): «**الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب، وإذا جاء وبّخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه، ولكنه يسمع ويكلمكم ويسوسكم بالحق، ويخبركم بالحوادث والغيوب**».

وهذه البشارة واضحة الدلالة على محمد ﷺ وضوح الشمس، لمن شرح الله صدره للحق، وتقبل الحقيقة، أما من أعمى الله بصيرته، فلو اندكت من حوله الجبال لم يؤمن.

١- فكلمة الفارقليط تدل على معاني الحمد والحماد والمحمود وكلها تدل على اسم النبي محمد ﷺ.

٢- من الذي تضمنت شريعته كل شيء غير محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

٣- ومن الذي جاء بعد عيسى عليه السلام غير محمد ﷺ.

٤ـ ومن الذي وبّخ العالم على الخطايا بعد المسيح غير محمد ﷺ.

٥ـ ومن الذي لا يتكلم من تلقاء نفسه بل بما يوحى إليه غير محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

٦ـ ومن الذي ساس الناس بالحق والعدل غير محمد ﷺ: الذي قال: «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها**»(١).

٧ـ ومن أخبر بالحوادث والغيوب، وما كان وما سيكون غير محمد ﷺ.

٨ـ ومن الذي شهد للمسيح بالنبوة والرسالة والعصمة غير محمد ﷺ.

أما البشارات بالعهد القديم فمنها:

١ـ في سفر التثنية (٣٣/ ١): «**تجلى الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران**».

فهذه البشارة متضمنة للنبوات الثلاث، نبوة موسى وعيسى و محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

فمجيء الله تعالى من طور سيناء، إشارة إلى وحيه الذي أنزله على موسى عليه السلام، وإشراقه من ساعير، هو نزول وحيه على عيسى عليه السلام، و مجيئه بالإنجيل، وأما المراد بالاستعلان من جبال فاران، فهو إنزال القرآن والوحي على محمد ﷺ، لأن جبال فاران هي جبال مكة باتفاق المسلمين واليهود والنصارى.

وقد ذكر في القرآن ما يصدّق هذه البشارة في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١ـ٣]. فذكر أمكنة هؤلاء الأنبياء

---

(١) متفق عليه.

الثلاثة التي خرجوا منها فقوله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ المراد بهما منبتهما وأرضهما وهي الأرض المقدسة التي ظهر فيها المسيح عليه السلام، وقوله: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، فهو مكان ظهور نبوته، وقوله: ﴿وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ هي مكة مظهر نبوة محمد ﷺ.

٢- جاء في سفر التثنية: «**قال موسى لبني إسرائيل: لا تطيعوا العرافين ولا المنجمين، فسيقيم لكم الربُّ نبيًّا من إخوتكم مثلي، فأطيعوا ذلك النبي**». فهذا النبي ليس عيسى عليه السلام لأنه قال: «**من إخوتكم**» وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، و ليس من نبيّ أرسل من بني إسماعيل إلا محمد ﷺ.

ومما يدل على أن هذا النبي هو محمد ﷺ قول موسى: «**نبيًّا مثلي**» ولا يوجد نبي ينطبق عليه أنه مثل موسى غير محمد ﷺ، فكلاهما اتصف بالقوة والشجاعة، وكلا هما قاتل أعداء الله، وكلاهما بعث برسالة مستقلة.

أما عيسى عليه السلام فلم يقاتل ولم يبعث برسالة مستقلة عن رسالة موسى، وأيضًا فإنه كان مقهورًا ولم ينتصر على أعدائه.

٣- في سفر التكوين (٢١/ ١٢): «**إن الله قال لإبراهيم: إني جاعل ابنك إسماعيل لأمة عظيمة إذ هو من زرعك**».

وفي سفر التكوين أيضًا: (١٦/ ٨): «**إن المَلَك ظهر لهاجر أم إسماعيل فقال: يا هاجر! من أين أقبلتِ وإلى أين تريدين؟ فلما شرحت له الحال قال: ارجعي، فإني سأكثر ذريتك وزرعك، حتى لا يُحْصَوْن كثرة، وها أنت تحبلين وتلدين ابنًا أسميه إسماعيل، لأن الله سمع تذلُّلكِ وخضوعَك، وولدك يكون وحشًا للناس، وتكون يده على الكلّ، ويدُ الكلّ مبسوطة إليه بالخضوع**».

فمن هذه الأمة العظيمة التي تنتسب إلى إسماعيل عليه السلام غير أمة محمد ﷺ؟!

ومن هو الذي ستكون يده على الكل ويد الكلّ مبسوطة إليه بالخشوع غير محمد ﷺ؟

فإسماعيل عليه السلام لم تكن يده فوق يد إسحاق، بل كانت يد إسحاق فوق يده؛ لأن النبوة والملك كانا في يد إسرائيل والعيص، وهما ابنا إسحاق. فالمراد إذن محمد ﷺ.

وكذلك قوله: «**وولدك يكون وحشًا للناس**» يدل على النبي ﷺ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**»[1] أي أن الله تعالى كان يلقي الرعب في صدور أعدائه منه وهو يبعد عنهم مسيرة شهر. فهو الذي ينطبق عليه قول التوراة «**وولدك يكون وحشًا للناس**».

* * *

(١) متفق عليه.

شهادة فيلسوف إنجليزي مسيحي

لعل الغربيين إذا استمعوا إلى كلامنا نحن المسلمين عن نبينا ﷺ يقولون: إننا نتعصب لديننا ونبينا، أما إذا جاء الكلام من أبناء جلدتهم وملتهم، فلا يستطيعون قول ذلك.

ومن أشهر مَن كتب عن النبي ﷺ على وجه الإنصاف «توماس كارليل» الفيلسوف الإنجليزي المشهور، والحائز على جائزة نوبل، فقد تكلم عن النبي محمد ﷺ في كتابه: «الأبطال» كلامًا طويلاً، خاطب به قومه من النصارى، وقد أشار بوضوح إلى صدق النبي ﷺ في نبوته، وإلى عظمة النبي ﷺ في جميع جوانب حياته وشخصيته. فكان من قوله:

«لقد أصبح من أكبر العار على أي فردٍ متحدث في هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدًا خدّاع مزوّر.

وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أدّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير لنحو مائتي مليون من الناس[١]. أيظن أحدكم أن هذه الرسالة التي عاش بها، ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟!

أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا، ولو أن الكذب والغشّ يَروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل هذا القبول، فما الناس إلا بُلْه مجانين. فواأسفاه ما أسوأ هذا الزعم، وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والرحمة.

هل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلاً كاذبًا يستطيع أن يوجد دينًا وينشره

---

(١) أصبح عدد المسلمين اليوم نحو مليار وثلاثمائة مليون إنسان.

علنًا؟

والله إن الرجلَ الكاذبَ لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب. فهو إذا لم يكن عليمًا بخصائص الجير، والجصّ والتراب وما شاكل ذلك فما الذي يبنيه ببيت، وإنما هو تلّ من الأنقاق، وكثيب من أخلاط المواد. وليس جديرًا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا، يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه، فينهدم، فكأنه لم يكن».

ثم قال: «وعلى ذلك فلسنا نعدُّ محمدًا هذا قط رجلاً كاذبًا متصنعًا، يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيته، ويطمح إلى درجة ملكٍ أو سلطان، أو إلى غير ذلك من الحقائر.

وما الرسالة التي أدّاها إلا حق صراح، وما كلمته إلا قول صادق.

كلا، ما محمد بالكاذب، ولا الملفّق، وهذه حقيقة تدفع كلّ باطل، وتدحض حجةَ القوم الكافرين!

ثم لا ننسى شيئًا آخر، وهو أنه لم يتلق دروسًا على أستاذٍ أبدًا، ولم يقتبس محمد من نور أي إنسانٍ آخر، ولم يغترف من مناهل غيره، ولم يكن إلا كجميع أشباهه من الأنبياء والعظماء، أولئك الذين أُشَبِّههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور.

وقد رأيناه طول حياته راسخ المبدأ، صادق العزم، كريمًا برًّا، رؤوفًا تقيًّا، فاضلاً، حرًّا، رجلاً، شديد الجدّ، مخلصًا، وهو مع ذلك سهل الجانب، لين العريكة ـ الطبيعة ـ جمّ البشر والطلاقة، حميد العشرة، حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق؛ لأنّ من الناس من تكون ابتسامته كاذبة ككذب أعماله وأقواله».

ثم قال «توماس كارليل»: «كان عادلاً، صادق النية، ذكيّ اللبّ، شهم الفؤاد،

لوذعيًّا، كأنما بين جنبيه مصابيح كلّ ليلٍ بهيم، ممتلئًا نورًا، رجلاً عظيمًا بفطرته، لم تثقفه مدرسة، ولا هذبه معلم، وهو غني عن ذلك.

ويزعم المتعصبون من النصارى والملحدين أن محمدًا لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخرة الجاه والسلطان. كلا - وأيم الله - لقد كان في فؤاد ذلك الرجل ابن القفار والفلوات، المتوقد المقلتين، العظيم النفس، المملوء رحمة وخيرًا وحكمة وحِجى، أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه، وكيف لا، وتلك نفس صامتة كبيرة، ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادّين، فبينما ترى آخرين يرضون الإصلاحات الكاذبة، ويسيرون طبق الاعتبارات الباطلة، إذ ترى محمدًا ﷺ لم يرض أن يتلفع بمألوف الأكاذيب، ويتوشح بمبتدع الأباطيل.

لقد كان منفردًا بنفسه العظيمة، وبحقائق الأمور والكائنات. لقد كان سِرُّ الوجود يسطع لعينيه - كما قلت - بأهواله ومخاوفه وورنقه ومباهره، ولم يكن هناك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه، فكان لسان حال ذلك السرّ الهائل يناجيه: ها أنا ذا، فمثل هذا الإخلاص لا يخلو من معنى إلهي مقدس، فإذا تكلم هذا الرجل، فكلّ الآذان برغمها صاغية، وكلُّ القلوب واعية، وكل كلام ما عدا ذلك هباء».

ثم قال «توماس كارليل»: «إذًا فلنضرب صفحًا عن مذهب الجائرين أن محمدًا كاذبٌ ونعدُّ موافقتهم عارًا، وسبة، وسخافة، وحمقًا، فلنربأ بأنفسنا عنه».

ثم قال: «**إنني لأحبُّ محمدًا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع**، ولقد كان ابن القفار رجلاً مستقل الرأي، لا يقول إلا عن نفسه، ولا يدّعي ما ليس فيه، ولم يكن متكبرًا، ولم يكن ذليلاً. يخاطب بقوله الحرِّ المبين قياصرةَ الروم وأكاسرة العجم، يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة، و للحياة الآخرة.

وكان يعرف لنفسه قدرها، ولم تَخْل الحروب الشديدة التي وقعت له مع الأعراب من مشاهد قوة، ولكنها كذلك لم تخل من دلائل رحمة وكرم وغفران»(١).

إلى أن قال: «وسع نوره الأنحاء، وعمَّ ضوؤه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والمشرق بالمغرب، وما هو إلا قرنٌ بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رِجْل في الهند، ورِجْل في الأندلس، وأشرقت دولة الإسلام حقبًا عديدة، ودهورًا مديدة بنور الفضل والنبل والمروءة، والبأس، ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة»(٢).

هذه شهادة كاتب غربي مسيحي، في نبي الإسلام، وهي تدلّ على التأثر الواضح والإعجاب الكبير، والإنصاف الذي تمتع به هذا الكاتب في تصوير شخصية النبي محمد ﷺ.

وهذه الشهادة تدلّ على أننا لم نكن مبالغين في وصف شمائل نبينا وخصائصه وأخلاقه، لأننا اعتمدنا على حقائق وأحداث لا تقبل الشك ولا التأويل.

❊ ❊ ❊

---

(١) وهذا من كمال شخصية النبي ﷺ، فالقوة والشجاعة مما يمدح به المرء وبخاصة إذا ضبطت بالكرم والتسامح والمغفرة.

(٢) انظر كتاب: «الطريق إلى الإسلام» لمحمد بن إبراهيم الحمد، ص(٢٦-٣٢).

من أسرار عظمة الرسول ﷺ

هل كان توماس كارليل مجاملاً للمسلمين في شهادته للنبي ﷺ؟

وهل كان «مايكل هارت»[1] يجامل المسلمين حينما جعل النبيَّ محمدًا ﷺ أعظم عظماء التاريخ؟

وهل من المعقول أن يجامل هؤلاء المسلمين على حساب الحقيقة والتاريخ، بل على حساب دينهم وأمتهم ونبيهم الذي يؤمنون به؟! هذا غير معقول.

دعونا من هذين ولننظر إلى الشاعر الفرنسي «لامرتين» فقد كتب كتابًا بعنوان «تاريخ الأتراك» تناول فيه بالدراسة بعض جوانب شخصية النبي محمد ﷺ، وقد ابتكر ثلاثة معايير موضوعية لقياس عظمة القيادة والقادة، وانتهى إلى أن النبيَّ محمدًا ﷺ هو أعظم رجل في التاريخ.

قال «لامرتين»: «**لو كانت عظمة الهدف أو الغاية**، وكانت بساطة وضآلة تكاليف الوسيلة، بالإضافة إلى تحقيق النتائج الباهرة بنجاح وسلاسة هي المعايير الثلاثة للعبقرية البشرية، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيَّ رجل من عظماء التاريخ الحديث بنبي الإسلام محمد ﷺ.

وقال: **لو كان مقياس العظمة هو إصلاح شعب متدهور**، فمن ذا يتطاول إلى مكان محمد ﷺ؟ لقد سما بأمة متدهورة، ورفعها إلى قمة المجد، وجعلها مشعلاً للمدنية، ومورداً للعلم والعرفان.

---

(1) انظر شهادته ص(٦٩، ٧٠).

ولو كان مقياس العظمة هو توحيد البشرية المفككة الأوصال، فمن أجدر بهذه العظمة من محمد ﷺ، الذي جمع شمل العرب، وجعلهم أمة واحدة، وإمبراطورية شاسعة.

ولو كان مقياس العظمة هو إقامة حكم السماء في الأرض، فمن ذا الذي ينافس محمدًا ﷺ، وقد محا مظاهر الوثنية، لتصبح عبادة الخالق وحده.

ولو كان مقياس العظمة هو الأثر الذي يخلّده في النفوس على مرّ الأجيال، فها هو محمد ﷺ يتبعه مئات الملايين من الناس من مختلف البقاع مع تباين أوطانهم وألوانهم وطبقاتهم».

وينهي «لامارتين» مقاله محددًا صفات النبي ﷺ وإنجازاته قائلاً: «حكيم، خطيب، رسول من رسل الله، مشرّع، محارب، منتصر الفكر، مساند للعقائد المعقولة، هادم للأصنام بمختلف صورها، مؤسس عشرين إمبراطورية دنيوية أرضية، وإمبراطورية روحية واحدة، ذلك هو محمد ﷺ وبكل المقاييس والمعايير التي يمكن أن تقاس بها عظمة البشر، يجوز لنا أن نسأل سؤالاً له كلّ الوجاهة:

هل يوجد أي رجل أعظم من محمد ﷺ؟!»[1].

إن عظمة شخصية النبي محمد ﷺ تنبع من كونه بشرًا ليس فيه شيء من الألوهية، لكنه اجتمع فيه جميع خصال الكمال البشري،

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم

فما تفرق من مكارم الأخلاق في الرسل، قد اجتمع فيه ﷺ، ولذلك فإن كلّ إنسان يستطيع أن يجد فيه القدوة والأسوة الحسنة، سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا،

---

(١) لامارتين في كتابه: «تاريخ الأتراك». باريس (١٨٥٤). نقلاً عن «محمد ﷺ أعظم عظماء العالم» لأحمد ديدات، ص(٦٧، ٦٨).

ذكرًا أم أنثى، غنيًّا أم فقيرًا، قويًّا أم ضعيفًا، صحيحًا أم سقيمًا، تاجرًا أم مزارعًا، سياسيًّا أم عسكريًّا، حاكمًا أم محكومًا، معتدل المزاج أم غضوبًا، معاقبًا أم عافيًا مسامحًا، متزوجًا أم عزبًا، عالمًا أم متعلمًا.

فسرُّ العظمة المطلقة أن العظيم ينبغي أن يكون قدوة للناس في جميع أحوالهم المختلفة، وهذا لم يتحقق إلا للنبي محمد ﷺ.

فالمسيحيون مثلاً يقولون إن عيسى عليه السلام كان رمزًا للسلام والرحمة والتسامح. ولكن من المعلوم أن عيسى عليه السلام كان مستضعفًا، فلم يملك، ولم ينتصر على أعدائه كما انتصر محمد ﷺ، بل إن أعداءه تمكنوا منه وصلبوه كما يرى المسيحيون[1]. ولذلك فإننا لم نعلم كيف كان سيتصرف مع أعدائه إن هو ظفر بهم وانتصر عليهم. أما تسامح المستضعف وعفوه عن أعدائه الغالبين، فلا يعدّه العقلاء شيئًا محمودًا.

وهناك أمر آخر مهم، وهو أن العقوبة في بعض الأحيان قد تكون أجمل وأحسن من العفو، وهذا الذي فعله محمد ﷺ، عفا كثيرًا، وصبر كثيرًا، وتسامح كثيرًا، وكان عفوه وتسامحه وهو في موقف القوي المنتصر الفاتح لا الضعيف المهزوم. وعاقب أحيانًا إذا تحتمت العقوبة وكان لابد منها.

فكان ﷺ قدوة في عفوه وحلمه وتسامحه، وقدوة في عقوبته وتأديبه كما قال الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازمًا ... فليقسُ أحيانًا على من يرحمُ

إنه التوازن الذي ينبغي أن يكون عليه الشخص العظيم، فما بالك بالرسول الخاتم الذي ينبغي أن يجد فيه كل إنسان أنموذجًا للتأسي والاقتداء.

«إنك إذا رجعت إلى حياة نوح عليه السلام ترى الغيظَ والحنقَ على الكفر

(١) عقيدتنا أن عيسى عليه السلام ما قُتِل وما صُلِب، بل رفعه الله إليه.

وأهله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وترى في حياة إبراهيم عليه السلام جهادًا في تحطيم الأصنام، وإبطال عبادة الأوثان. وفي حياة موسى عليه السلام ترى قتالاً للمشركين بالله، وترى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يعفو ويصفح، ويلين للناس، ويخفض لهم جناحه، فتمتلئ نفسك إعجاباً بعفوه وعفته.

وأما سليمان عليه السلام فيعجبك بجلالته وسلطانه وأبهة ملكه، وتمثل لك حياة أيوب عليه السلام معاني الصبر على المكاره والشكر على الرغائب، ويملأك يونس عليه السلام إعجابًا بإنابته إلى الله وندمه على ما فرط منه. ويوسف عليه السلام يعرفك كيف يقوم الإنسان بدعوة الحق وهو أسير، وكيف يصون نفسه ويستمسك بعفافه حين تراوده امرأة ذات جمالٍ وجلالٍ ومالٍ وعظمة. وفي حياة داود عليه السلام درسُ عظمة، وصحيفة عبرة، إذ يبكي من خشية الله، ويحمده ويدعوه متضرعًا إليه. وفي سيرة يعقوب عليه السلام أسوة للمرء فيما يرجوه من رحمة الله والثقة به والتوكل عليه، عندما تظلم الدنيا في عينيه.

أما سيرة محمد ﷺ فإنها تجمع ذلك كلّه، وتشتمل على جميع هذه الخصال، وتعم جميع الأخلاق الكريمة بحذافيرها، وما تفرق منها في سيرة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسليمان وداود وأيوب ويونس ويوسف ويعقوب عليهم الصلاة والسلام، فكأن السيرة المحمدية بحرٌ لجيّ تنصبُّ فيه جميع الأنهار وتتصل به كل البحار من سير الأنبياء والرسل، وهديهم وسننهم.

تأملوا سيرة محمد ﷺ، تجدوا فيها كلّ فضائل الأنبياء كاملة.

إنه في خروجه مهاجراً من بلده مكة إلى المدينة فارًّا بدينه يشبه موسى عليه السلام الذي فرَّ من مصر إلى مدين.

وانزوائه ﷺ في غار حراء للتعبد والتفكر والتأمل يشبه ذهاب موسى إلى

جبل سيناء لمناجاة ربّه.

إن عيسى عليه السلام في ذهابه إلى جبل الزيتون ليلقي موعظة، يشبه محمدًا ﷺ وقد ارتقى جبل الصفا لينادي معاشر قريش ويعظهم.

وقتال النبي ﷺ لمشركي بلاد العرب في بدر وأحد وحُنَيْن والأحزاب، يشبه موسى الذي قاتل المؤابيين والعمونيين والآموريين.

إن محمدًا ﷺ دعا على سبعة رجال من أكثر الناس إيذاءً له من أهل مكة فهلكوا، وهو يشبه في ذلك موسى عليه السلام الذي دعا على فرعون ومن التف حوله فغرقوا جميعًا.

ولكن عيسى عليه السلام كان يدعو لأعدائه بالخير، وهو يشبه في ذلك محمدًا الذي طلب منه بعض أصحابه أن يدعو على قبيلة «دوس» فرفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم اهد دوسًا، وائتِ بهم»[1] فدعا لهم ولم يدع عليهم، ودعا ﷺ لكثير ممن آذوه وطاردوه.

ولو رأيت نبي الإسلام وهو يذكر الله دائمًا، ويحمده ويسبِّحه في البكور والآصال وفي كلّ حال، فكأنك برؤية نبي الإسلام قد رأيت داود عليه السلام صاحب الزبور في ترتيله محامد الله ونعمه.

وإذا رأيت محمدًا ﷺ بين أصحابه وقد فتح مكة ودخلها تحت رايات المجاهدين فكأنك ترى سليمان عليه السلام في جنوده وعليه جلال الملك وأبهة السلطان.

أما إذا رأيت محمدًا ﷺ وهو محصور مع ذويه في شعب أبي طالب، وقد حاصرهم المشركون اقتصاديًّا، ومنعوا دخول الطعام والشراب إليهم، حتى أكلوا ورق الشجر، فكأنك ترى يوسف عليه السلام وهو في سجن عزيز مصر، يعاني

(١) رواه مسلم.

شدائد الظالمين ويكابدها.

إن موسى قد جاء بالأحكام، وداود امتاز بدعاء الله والتغني بمناجاته، وعيسى بعث ليعلم الناس مكارم الأخلاق والزهد في الدنيا. وأما محمد ﷺ فقد جاء بكل ذلك، وكل هذا تجده في القرآن الحكيم لفظًا ومعنى، وفي السيرة المحمدية قدوة وعملاً»[1].

كتـــاب مفتـــوح

فمن جوانب عظمة شخصية النبي محمد ﷺ، أن سيرته وحياته تعدُّ كتابًا مفتوحًا لكل قارئ ومسترشد، فهو النبي الوحيد الذي نعرف عنه كلَّ شيء، حتى ما يدور داخل غرف نومه وحياته الزوجية، فلم يحاول ﷺ إخفاء شيء من حياته العامة أو الخاصة. لماذا؟ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ولابد لمن كان كذلك أن لا يخفى من أمره شيء، حتى يتأسى الناس بكل جانب من جوانب حياته.

لقد ذهل أحد اليهود من شمولية تعاليم النبيّ ﷺ وتغطيتها لكافة مناحي الحياة وأركانها فقال لبعض المسلمين: لقد علمكم نبيكم كل شيء، حتى علمكم آداب التغوط. قال: نعم؛ أمرنا أن لا نستقبل القبلة ولا نستدبرها عند البول أو الغائط.

لقد أراد الله تعالى أن يختم النبوة، فجمع كمالات الأنبياء جميعًا في شخص محمد ﷺ، وذلك ليكون القدوة العليا لأهل الأرض جميعًا.

ولكي يتم الله تعالى نشر هذه الفضائل والمكارم، قيض للنبي ﷺ أصحابًا أمناء، نقلوا كل شيء سمعوه من نبيهم في سفره وإقامته، في حلّه وترحاله، في أمنه وخوفه، في يسره وعسره، في سلمه وحربه، في عبادته وأخلاقه، في بيعه

---

(١) انظر: «الرسالة المحمدية» للسيد سليمان الندوي، ص(١٤٢-١٤٧) بتصرف.

وشرائه، ماذا كان يقول عند النوم؟ ماذا كان يقول عند اليقظة؟ ماذا كان يقول عند القلق؟ ماذا كان يقول عند الأرق؟ ماذا كان يقول عند الفزع؟ ماذا كان يقول عند دخول الحمام والخروج منه؟ وعند دخول المنزل والخروج منه، وعند دخول السوق، وعند رؤية الهلال، وعند نزول المطر، وعند لبس الثوب الجديد، وعند رؤية أهل البلاء، وعند الوضوء، وبعد الفراغ من الوضوء، وعند استفتاح الصلاة، وأثناء الصلاة، وبعد الصلاة، حتى عند جماع الزوجة، فقد رَوَوْا عنه أنه ﷺ قال: **«لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فيولد بينهما ولد، فيصيبه الشيطان أبداً»**[١].

وهذا يذكرنا بالفرق بين أصحاب محمد ﷺ وأصحاب المسيح عليه السلام، فإنهم السبب في ضياع تعاليم المسيح عليه السلام، وهذا ما أشار إليه «هيجنس» في كتابه «الاعتذار عن محمد والقرآن» حيث قال: «إن أتباع عيسى عليه السلام ينبغي لهم أن يجعلوا على ذكرٍ منهم أن دعوة محمد ﷺ أحدثت في نفوس أصحابه من الحمية ما لم يحدث مثله في الأتباع الأولين لعيسى عليه السلام.

ومن بحث عن مثل ذلك لا يرجع إلا خائبًا؛ فقد هرب الحواريون، وانفضوا عن عيسى حين ذهب به أعداؤه ليصلبوه، فخذله أصحابه، وأسلموا نبيَّهم لأعدائه يسقونه كأس الموت. أما أصحاب محمد ﷺ فالتفوا حول نبيّهم المبغيّ عليه، ودافعوا عنه مخاطرين بأنفسهم إلى أن تغلب بهم على أعدائه».

لقد فجع المسلمون بتلك الصور المسيئة للنبي ﷺ وغضبوا منها غضبًا شديدًا، وللأسف فإن الغربيين لا يدركون سرَّ هذا الغضب، لأنهم لا يعرفون شيئًا كبيرًا عن نبيهم عيسى عليه السلام، فالمعلومات التي في الأناجيل الأربعة

---

(١) متفق عليه.

المعتمدة والأخرى غير المعتمدة، لا تتحدث إلا عن ثلاث سنوات فقط من حياة المسيح عليه السلام، أما بقية عمر المسيح فلا نعلم عنه كبير شيء، هذا بالإضافة إلى التناقض البيّن بين الأناجيل في تلك المعلومات القليلة عن حياة المسيح عليه السلام. **لقد دفع هذا بعض الباحثين الغربيين المسيحيين إلى إنكار شخصية المسيح عليه السلام، واعتباره شخصية أسطورية**، وهذا رأي خاطئ ولكنه يدلّ على مدى الغموض الذي يحيط بحياة المسيح عليه السلام.

ولعلّ أشد مراحل سيرة المسيح عليه السلام غموضًا هي تلك المرحلة التي مرت عليه قبل بلوغه الثلاثين، فإننا لا نعرف شيئًا ذا بالٍ عن ولادته وطفولته وشبابه، ولعل من أسباب ذلك هو ضياع الإنجيل الأصلي الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام. أما الأناجيل الأربعة وغيرها، فإن مؤلفيها قد استفادوا من الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، فنقلوا عنه بعض الوقائع التي لا تعرف إلا بالوحي، ثم أضافوا إليها من العقائد والآراء والتوجيهات ما ليس له أدنى صلة بالوحي المنزل أو كلام عيسى عليه السلام.

يقول «أتيين دينيه» الرسام الفرنسي الذي أسلم بعد دراساته الواسعة في الأديان: «**إن الله سبحانه قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه، ولكن الذي لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر، ولم يبق له أثر، أو أنه أبيد**»(١).

وقال «مايكل هارت»: «**إن عددًا من الباحثين يرون أن مؤسس الديانة النصرانية هو بولس وليس المسيح.** وليس من المنطق في شيء أن يكون المسيح نفسه مسؤولاً عما أضافه بولس وأتباعه، فكثيراً مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه».

---

(١) «خرافات التوراة والإنجيل» ص(٣٢١، ٣٣٠).

إن هذا التحريف ـ برأيي ـ هو الذي يجعل الغربيين لا يؤمنون بشيء مقدس، فيقولون: ليس هناك عندنا مقدس، حتى أنهم يتهكمون على المسيح نفسه ويسيئون إليه في الأفلام و الصور والرسوم وغير ذلك.

ولو أن هؤلاء يملكون ما يملكه المسلمون من معرفة بكافة أحوال وتفاصيل حياة نبيهم لما قالوا ذلك، ولما تجرؤوا على الإساءة لنبيهم فضلاً عن الإساءة لنبي الإسلام.

يقول الإنجليزي «باسورث سميث»: «ترى الشمس هاهنا بارزة تنير أشعتها كلّ شيء وتصل إلى كل شيء. لا شك أن في الوجود شخصيات لا نعلم عنها شيئًا، ولا تتبين حقيقتها أبدًا، أو تبقى منها أمورٌ مجهولة، بيد أن التاريخ الخارجي لمحمد ﷺ نعلم جميع تفاصيله، من نشأته إلى شبابه، وعلاقاته بالناس، وروابطه، وعاداته، ونعلم أول تفكيره، وتطوره، وارتقاءه التدريجي، ثم نزول الوحي العظيم عليه نوبة بعد نوبة، ونعلم تاريخه الداخلي بعد ظهور دعوته وإعلان رسالته، وأن عندنا كتابه (القرآن) لا مثيل له في حقيقته، و في كونه محفوظًا مصونًا، وأنه لم يستطع أحد أن يشك في قيامه على أساس الصدق شكًّا يعتدُّ به»[١].

لعلك الآن ـ أخي القارئ ـ عرفت سبب غضبة المسلمين من تلك الصور المسيئة، وهو أن المسلمين يعرفون كلّ شيء عن نبيهم حتى صورته الظاهرة، وهذه الصور الدنماركية المسيئة التي أظهرت النبي ﷺ وكأنه رجل قبيح المنظر، شرير، إرهابي، لا تتفق أبدًا مع ما يعرفه المسلمون عن نبيهم، ولذلك فهي من أعظم الكذب والافتراء على هذا النبي العظيم.

---

(١) «الرسالة المحمدية» ص(١٢١).

كمـال خَلـق النبـي ﷺ

لقد وصف أصحاب النبي ﷺ شكله الخارجي وأفاضوا في ذلك حتى لكأنك تراه من دقة وصفهم، فذكروا صفة وجهه، وخدّه، وعينيه، وأشفار عينيه، وأنفه، ورقبته، ورأسه، وجبينه، وفمه، وأسنانه، وكتفيه، وكفيه وقدميه وغير ذلك.

ومما ذكروا في ذلك: قول البراء رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ بعيد ما بين المنكبين، يبلغ شعره شحمة أذنيه، ما رأيت شيئًا أحسن منه(١).

وقال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خَلْقًا؛ ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير(٢).

وقال علي: «لم يكن ﷺ بالمطهّم، ولا المكلثم، وكان في وجهه تدوير»(٣).

والمطهّم: الكثير السِّمن. والمكلثم: الممتلئ لحم الخدين.

وعن أبي الطفيل أنه قيل له: صف لنا رسول الله ﷺ.

قال: كان أبيض مليح الوجه(٤).

في وجهه قسمات قد دلَلْن على ... ما ضمّه القلبُ من أخلاقِ قرآن

وكان ﷺ: واسع العينين، أهدب الأشفار، أي طويل شعر أشفار العينين، أقنى الأنف، وهو ارتفاع أعلاه مع دقة أرنبته.

وكان عظيم الجبهة، كبير الرأس قليلاً، ظاهر الوضاءة، شديد سواد الشعر، كبير الفم، و العرب تمدح ذلك، أبيض الأسنان، مفلج الأسنان، أي متباعد ما بين أسنانه، طيب رائحة الفم، أزجّ الحواجب، أي دقيق الحاجبين مع الطول، غير

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترمذي وضعفه.

(٤) رواه الترمذي في «الشمائل».

أنهما غير متصلين.

فأين هذا الجمال النبوي من تلك الصور الدنيئة التي تدلّ على جهل أصحابها بهذا النبي الكريم!!

وعن أنسٍ قال: ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألينَ من كفّ رسول الله ﷺ، ولا شممتُ مسكًا ولا عنبرًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ.

لقد كان منظر النبي ﷺ يوحي لمن رآه بأنه أمام رجلٍ صادق وليس أمام كذاب. فقد قال عبدالله بن سلام حبر اليهود الأعظم: لما قدم النبي ﷺ المدينة، جئته لأنظر إليه، فلما استبنت وجهه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب.

لو لم تكن فيه آيات مبيِّنةٌ لكان منظره يُنْبيك بالخبرِ

وكان ﷺ يعلوه الجلال والهيبة. فقد قال عليّ بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ: من رآه بديهةً هابه(١).

وقال عمرو بن العاص: ما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن املأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلتُ أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن املأ عيني منه(٢).

وكان ﷺ يحبُّ الطيب والنظافة، ويكره الرجل لا يعتني بنظافة بدنه وثيابه وشعره. فقد قال: «**إن الله جميل يحبّ الجمال**»(٣).

وعن جابر بن عبدالله قال: أتانا رسول الله ﷺ فرأى رجلاً شعثًا، قد تفرق شعره فقال: «**أما كان يجد هذا ما يُسَكّن به شعره؟**» ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة، فقال: «**أما كان يجد هذا ماءً يغسل به ثوبه؟**»(٤).

---

(١) رواه الترمذي في «الشمائل».

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أبوداود وصحّحه الألباني.

وقال البراء بن عازب: رأيت رسول الله ﷺ في حُلَّةٍ حمراء، لم أر شيئًا قط أحسن منه.

هذا بعض ما رواه المسلمون في صورة نبيهم الظاهرة، و الأمر أعظم من ذلك بكثير، **وإذا نظرت إلى فهرس كتاب واحد من الكتب المتعلقة بأخلاق النبي ﷺ وشمائله سوف تجد أن الرواة لم يتركوا صغيرة أو كبيرة عنه ﷺ إلا وقد أثبتوها ولم يتحقق هذا على الإطلاق إلا لنبي واحدٍ هو محمد ﷺ. لماذا؟ لأنه النبي الخاتم الذي يجب أن يعرف عنه الناس كلّ شيء، ليكون قدوة للناس جميعًا في جميع أحوالهم.**

وسوف أذكر فهرسًا لكتابٍ واحدٍ من الكتب المتعلقة بالنبي ﷺ ليعرف القارئ تلك المعجزة التي حققها المسلمون بضبط كافة تفاصيل حياة النبي ﷺ ونَقْلها إلى الناس بكل دقة وأمانة.

هذا الفهرس هو لكتاب: «زاد المعاد في هدي خير العباد» للإمام ابن القيم رحمه الله ذكر فيه كل ما يتعلق بهدي النبي ﷺ وسنته في عباداته ومعاملاته، وأخلاقه وآدابه، وشؤونه اليومية وذلك على النحو التالي:

١- في ذكر نسبه ﷺ. ٢- كيفية تربيته ووفاة والديه. ٣- ذكر مبعثه ومراتب الوحي. ٤- في ختانه ﷺ. ٥- في ذكر مرضعاته. ٦- في ذكر حواضنه. ٧- أول ما نزل عليه من الوحي. ٨- في ذكر أسمائه ﷺ. ٩ـ أولاده ﷺ. ١٠ـ أعمامه وعماته ﷺ. ١١ـ أزواجه ﷺ. ١٢ـ في سراريه ﷺ. ١٣ـ في مواليه ﷺ. ١٤ـ في خدامه ﷺ. ١٥ـ في كُتّابه ﷺ. ١٦ـ في كتبه ورسله ﷺ إلى الملوك. ١٧ـ في مؤذنيه ﷺ. ١٨ـ في أمرائه ﷺ. ١٩ـ في حرسه ﷺ. ٢٠ـ فيمن استعمل على نفقاته ونعله وسواكه ومن كان يأذن له. ٢١ـ في شعرائه وخطبائه. ٢٢ـ في حُداته الذين كانوا يحدون بين يديه في السفر. ٢٣ـ في غزواته وبعوثه وسراياه. ٢٤ـ في

ذكر سلاحه وأثاثه. ٢٥ـ في ذكر دوابّه. ٢٦ـ في ذكر ملابسه. ٢٧ـ في ذكر عمامته وسراويله ونعله وخاتمه وغير ذلك. ٢٨ـ هديه ﷺ في الأكل والشرب. ٢٩ـ هديه ﷺ في النكاح ومعاشرة أهله. ٣٠ـ هديه وسيرته في نومه وانتباهه. ٣١ـ هديه ﷺ في الركوب. ٣٢ـ هديه في ا تخاذ الغنم ومعاملة الإماء والعبيد. ٣٣ـ هديه في بيعه وشرائه ومعاملاته. ٣٤ـ هديه في مسابقته. ٣٥ـ هديه في معاملته. ٣٦ـ هديه في مشيه وحده ومع أصحابه. ٣٧ـ هديه في جلوسه واتكائه. ٣٨ـ هديه عند قضاء الحاجة. ٣٩ـ هديه في الفطرة [قصُّ الشارب ـ تقليم الأظفار ـ حلق العانة ـ نتف الإبط وغير ذلك]. ٤٠ـ هديه في كلامه وسكوته وضحكه وبكائه. ٤١ـ هديه في خطبه. ٤٢ـ هديه في الوضوء والأذكار عند الوضوء. ٤٣ـ هديه في المسح على الخفين. ٤٤ـ هديه في التيمم. ٤٥ـ هديه في الصلاة. ٤٦ـ هديه في القنوت في الصلاة. ٤٧ـ هديه في سجود السهو. ٤٨ـ هديه في ا تخاذ السترة. ٤٩ـ هديه في السنن الرواتب والتطوعات في الحضر والسفر. ٥٠ـ هديه في قيام الليل. ٥١ـ هديه في قراءة القرآن و ترتيله. ٥٢ـ هديه في صلاة الضحى. ٥٣ـ هديه في سجود الشكر. ٥٤ـ هديه في سجود القرآن. ٥٥ـ هديه ﷺ في صلاة الجمعة. ٥٦ـ هديه ﷺ في العيدين. ٥٧ـ هديه في صلاة الكسوف. ٥٨ـ هديه ﷺ في الاستسقاء (طلب نزول المطر). ٥٩ـ هديه ﷺ في السفر وعبادته فيه. ٦٠ـ هديه في عيادة المرضى. ٦١ـ هديه في الجنائز والقبور و التعزية. ٦٢ـ هديه ﷺ في صلاة الخوف.

هذا هو الفهرس التفصيلي للمجلد الأول فقط من هذا الكتاب الذي يحتوي على خمسة مجلدات، أما فهارس المجلدات الأربعة الباقية فسوف أذكرها إجمالاً لعدم الإطالة:

- هديه ﷺ في الصدقة والزكاة وإنفاق المال. ـ هديه ﷺ في الصيام. ـ هديه

ﷺ في الحج والعمرة. ـ هديه ﷺ في الذبح. ـ هديه ﷺ في تسمية المولود وختانه. ـ هديه ﷺ في الأسماء واختيارها. ـ هديه ﷺ في الأذكار المطلقة والمقيدة. ـ هديه ﷺ في السلام. ـ هديه ﷺ في الاستئذان. ـ هديه ﷺ في العطاس و التثاؤب. ـ هديه ﷺ عند الغضب. ـ هديه ﷺ في الجهاد والغزوات. ـ هديه ﷺ في إعداد العدة واتخاذ الوسائل للحرب. ـ هديه ﷺ في الجاسوس. ـ هديه ﷺ في عقود الأمان، ومعاهدات الصلح، ومعاملة رسل الكفار، وأخذ الجزية، ومعاملة أهل الكتاب والمنافقين. ـ هديه ﷺ في معاملة الوفود. ـ هديه ﷺ في مكاتباته إلى الملوك وغيرهم. ـ هديه ﷺ في علاج أمراض القلب (النفس) وأمراض البدن ومن ذلك: علاج الحمى، والإسهال، والطاعون، والاستسقاء، والجروح، والحجامة، والصرع، وعرق النسا، والصداع، والحكة، والرمد، والأورام والخراجات، والسم، والقرحة، واللدغة، وغير ذلك. ـ هديه ﷺ في المسكن. ـ هديه ﷺ في النوم واليقظة. ـ هديه ﷺ في الرياضة. ـ هديه ﷺ في الجماع. ـ هديه ﷺ في علاج العشق. ـ هديه ﷺ في الأقضية والأحكام في مختلف القضايا. كالسرقة، والزنا، والأسرى، وقسمة الغنائم، والساحر، والنكاح، والطلاق، والخلع، والأنساب، والحضانة، والنفقة، والرضاع، والإحداد، والبيوع.

لقد قال أحد علماء الألمان: **يكفي لإقناع أوربا بعظمة محمد ﷺ وصدقه، أن يترجم لهم كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» للقاضي عياض** رحمه الله. وصدق هذا المفكر الألماني، وإننا لنعترف بالتقصير في التعريف بنبي الإسلام حتى أصبحت الصورة المشوهة الكريهة عنه هي السائدة في أوربا وأمريكا.

إنه لا يوجد نبي من الأنبياء يستطيع أن يكون قدوة لجميع البشر في كافة

مناحي الحياة وتفاصيلها سوى محمد ﷺ، لأنه لا يوجد نبي من الأنبياء نقل عنه كل شيء عن أدق تفاصيل حياته سوى محمد ﷺ.

ولنضرب لذلك مثلاً بالمسيح عليه السلام.

إنني لا أستطيع أن أقتدي بالمسيح مثلاً في حياته الزوجية وعشرته لزوجته؛ لأنه ببساطة لم يكن متزوجًا.

ولا أستطيع أن أقتدي به في تربية الأبناء؛ لأنه لم تكن لديه ذرية.

ولا أستطيع أن أقتدي به في حروبه وقتاله؛ لأعرف منه آداب القائد المحارب، لأنه ببساطة لم يحارب. نعم هو أمر أتباعه بأن يبيعوا ملابسهم، ويشتروا بها سيوفًا كما ذكر لوقا في إنجيله (٢٢/ ٣٦) ولكن الظروف لم تتهيأ له لاستعمال هذا السلاح في مقاومة الشر والطغيان، وبذلك لا نستطيع أن نتأسى به في ذلك أبدًا.

لا نستطيع أن نعرف منه كيف تكون أخلاق المنتصر نحو أعدائه الذين آذوه واضطهدوه؛ لأن الفرصة لم تسنح له عليه السلام أن يكون منتصرًا.

لا نستطيع أن نتأسى به كحاكم وصاحب سلطة يحكم بين الناس ويقضي بينهم بالحق؛ لأنه عليه السلام لم يكن حاكمًا أو قاضيًا.

أما محمد ﷺ فإننا نستطيع أن نتأسى به في ذلك كله، فقد كان زوجًا، وكان حاكمًا، وكان قاضيًا، وكان محاربًا، وكان قائدًا، وكان فاتحًا، وكان منتصرًا، وكانت أخلاقه ﷺ في تلك المواقف المختلفة على أكمل وجه وأحسنه، ولذلك ذكرنا في بداية هذا الفصل أن محمدًا ﷺ كان كتابًا مفتوحًا لكل قارئ ومسترشد ومهتدٍ.

* * *

كمـــال أخلاقـــه ﷺ

فإن قيل: ليس كمال الأخلاق دليلاً على النبوة. قيل: يمكن أن يكون دليلاً عليها، إذا ادعى كامل الأخلاق النبوة، لأنه لو كان كاذبًا لم يكن كامل الأخلاق، إذ الكذب من مساوئ الأخلاق، ولا يصدر إلا من ناقص مهين النفس، وكمال الأخلاق موجب للصدق، والصدق موجب لقبول قول الصادق، فجاز أن يكون كمال الأخلاق دليلاً على النبوة.

وكمال الأخلاق ليس بالأمر الهين حتى يدَّعيه كلُّ أحد، وإذا نظرنا فيما قاله أصحاب محمد ﷺ أدركنا أن هذا التكامل لا يمكن أن يجتمع إلا لنبيّ، فلننظر إلى ما قالوا:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان ابن عم رسول الله ﷺ، وأعرف الناس به، وأكثرهم عشرة له، وأقدرهم على الوصف والبيان، قال:

«**لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخَّابًا في الأسواق،** ولا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، وما ضرب بيده شيئًا قطّ إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادمًا ولا امرأة، وما رأيته منتصرًا من مظلمةٍ ظُلمها قط ما لم يُنْتهك من محارم الله تعالى شيء، فإذا انتُهك من محارم الله، كان من أشدّهم غضبًا.

- **وما خيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما،** وإذا دخل بيته كان بشرًا من البشر، ينظف ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه.

- وكان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، ويتفقد أصحابه، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويُكرم كريم كلّ قوم، ويولّيه عليهم، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسّن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يقصّر عن الحق ولا يجاوزه. الذين يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

- وكان ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، يعطي كلّ واحدٍ من جلسائه نصيبه، ولا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه.

- مَن جالسه أو فاوضه في حاجة صبر عليه حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجته لم يردّه إلا بها أو بميسورٍ من القول.

- وكان ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخّاب ولا عيّاب، ولا مشّاح[1]، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يُؤْيس منه راجيه.

قد ترك نفسه من ثلاث: المراء[2]، وا لإكثار[3]، وما لا يعنيه.

وترك الناس من ثلاث: كان لا يذمُّ أحدًا ولا يعيبه، ولا يتتبع عورته[4]، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه.

- وكان إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا.

---

(١) من الشح وهو أشد البخل.

(٢) المراء: الجدال.

(٣) الإكثار: من المال أو الكلام.

(٤) أي لا يتتبع أخطاء الناس وسقطاتهم.

- يضحك مما يضحكون، و يتعجب مما يتعجبون.
- يصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، ولا يقطع على أحدٍ حديثه حتى يجور فيقطعه بنهي أو قيام.
- أجود الناس صدرًا، وأصدقهم لسانًا، وألينهم طبعًا، وأكرمهم عشرة. من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفةً أحبّه.

وفي وصف هند بن أبي هاله للنبي ﷺ: «كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان(١)، دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكوت، لا يتكلم من غير حاجة، يتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل لا فضول فيه ولا تقصير.

- ليس بالجافي ولا المهين، يعظّم النعمة وإن دقت، ولا يذمُّ منها شيئًا.
- لا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها»(٢).

إننا لنتساءل بعد هذا العرض المجمل لأخلاق النبي ﷺ: مَن الذي يمكن أن يجتمع له كل هذه المكارم والفضائل الأخلاقية؟

إن النبي ﷺ كان أميًّا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وفي هذا أعظم الحكم، حيث أراد الله تعالى أن يجعل من هذا الأميّ أعظم معلّم للبشرية، لأنه هو الذي يعلمه، وهو الذي يوجهه، وهو الذي يربّيه. قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣

---

(١) وكان حزنه ﷺ بسبب شفقته على الناس وخوفه عليهم. قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

(٢) رواه الترمذي في «الشمائل».

وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى كاملة].

هكذا تعلم ﷺ مكارم الأخلاق من ربّه، لم يقم على تربيته مهذّب، ولم يُعن به معلّم أو مؤدب، فأدبُه ﷺ أدبٌ إلهي، لم تجْرِ العادةُ بأن تُزيّن به نفوس الأيتام من الفقراء، فاكتهل ﷺ كاملاً والناس ناقصون، رفيعًا والناس منحطّون، موحّدًا والناس وثنيون، مسالمًا وهم شاغبون[1]، صحيح الاعتقاد وهم واهمون، مطبوعًا على الخير وهم جاهلون وعن سبله عادلون[2].

* * *

---

(١) شاغبون: مهيجون للشرور.

(٢) عادلون: مجانبون. وانظر: «لباب الخيار في سيرة المختار» للشيخ مصطفى الغلاييني، ص(٢٩).

الجانب التطبيقي للعظمة المحمدية

لقد خلق الله محمدًا ﷺ كامل الفطرة ليبعثه بدين الفطرة، وخلقه كامل العقل ليبعثه بدين العقل والنظر العلمي، ولقد كمله بمعالي الأخلاق ليبعثه متممًا لمكارم الأخلاق، وبغّض إليه الوثنية وخرافات أهلها ورذائلهم من صغر سنه، وحبب إليه العزلة حتى لا تأنس نفسه بشيء يتنافسون فيه من الشهوات واللذات البدنية، أو منكرات القوة الوحشية، كسفك الدماء، والبغي على الناس، أو المطامع الدنيئة، كأكل أموال الناس بالباطل، ليبعثه مصلحًا لما فسد من أنفس الناس، ويجعله المثل البشري الأعلى لتنفيذ ما يوحيه إليه من الشرع الأعلى.

لقد أكمل الله استعداده الفطري للبعثة بأن أنشأه أميًا، وصرفه عن اكتساب أي شيء من علوم البشر، حتى أنه لم يجعل له أدنى عناية بما يتفاخر به قومه من فصاحة اللسان وبلاغة البيان من شعر وخطابة ومفاخرة[1]، كل ذلك ليكون الوحي معلّمه ومرشده وهاديه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

ولقد بغض الله إليه حال أهل الجاهلية الوثنية، فكان لا يشاركهم في شيء من عباداتهم أو عاداتهم، فلم يسجد لصنم، ولم يعظم صنمًا، ولم يشرب خمرًا، ولم يزن، ولم يخن، ولم يغدر، ولم يفعل إلا كلّ ما اتفقت العقول على مدحه واستحسانه.

لم يكن محمد ﷺ من سوقة الناس ونكرائهم، بل كان من أشرافهم وذوي النسب فيهم، فقد قال ﷺ: «**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى**

---

(١) انظر: «الوحي المحمدي» للشيخ محمد رشيد رضا، ص(٨٩، ٩٠).

من بني إسماعيل كِنَانةَ، و اصطفى من بني كنانةَ قريشًا، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[١]. وهذا النسب الرفيع والاصطفاء يؤثر ـ بلا شك ـ في الشخصية تأثيرًا إيجابيًا.

ومما يؤثر كذلك في الشخصية الصورة الظاهرة للوجه والبدن، وقد تقدم أن النبيَّ ﷺ خلق على أكمل صورة ليكون كاملاً من كل وجه كما قال حسان بن ثابت:

خُلِقْتَ مبرءًا من كل عيبٍ   كأنك قد خُلقت كما تشاء

الفصاحـــة والبيـــان

كان ﷺ فصيح اللسان، واضح البيان، قوي الحجة، وقد بلغ في ذلك أعلى المراتب، حيث أوتي ﷺ جوامع الكلم، واختُصِر له الكلام اختصارًا، بحيث يستخدم الألفاظ اليسيرة، التي تدل على المعاني الغزيرة والفوائد الجليلة. ومن ذلك أنه ﷺ زار صبيًّا فقال له: «**يا أبا عمير، ما فعل النّغير**»[٢] والنغير: تصغير نُغْر وهو الطائر الصغير. وقد استخلص العلماء من هذا الحديث الذي يحتوي على ثلاث كلمات فقط أكثر من ستين فائدة!!

وكذلك قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى**»[٣]، قال الشافعي وهو من أكابر أئمة المسلمين: هذا الحديث ثلث العلم، ويدخل في سبعين بابًا من الفقه.

وقال الإمام أحمد: أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث: «إنما

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.

الأعمال بالنيات»، وحديث: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**»[١]، وحديث: «**الحلال بيّن والحرام بيّن**»[٢]، وزاد بعضهم حديث: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[٣]، وحديث: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس، يحبك الناس**»[٤].

وكان ﷺ يتخير الألفاظ السهلة، والعبارات المضيئة المشرقة التي لا تكلف فيها، ومع ذلك لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا ولا أصدق لفظًا، ولا أعدل وزنًا من كلامه ﷺ. قالت عائشة رضي الله عنها: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد الكلام كسردكم هذا؛ كان يتكلم بكلام بيّن فَصْل، لو عدّه العادُّ لأحصاه»[٥].

ومن أقواله ﷺ البليغة وحكمه الرائعة:

١- قوله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**»[٦].

٢- قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»[٧].

٣- قوله ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[٨].

٤- قوله ﷺ: «**الدالّ على الخير كفاعله**»[٩].

---

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الترمذي وصحَّحه الألباني.
(٤) رواه الطبراني والحاكم وصحَّحه الألباني.
(٥) متفق عليه.
(٦) رواه أحمد والترمذي وصحَّحه الألباني .
(٧) رواه مسلم.
(٨) رواه أحمد وصحَّحه الألباني.
(٩) متفق عليه.

٥- قوله ﷺ: «من صمت نجا»[١].

٦- قوله ﷺ: «المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده»[٢].

٧- قوله ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة»[٣].

٨- قوله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[٤].

٩- قوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٥].

١٠- قوله ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٦].

١١- قوله ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال»[٧].

١٢- قوله ﷺ: «كلّ بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»[٨].

١٣- قوله ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعانًا وجاره جائع وهو يعلم»[٩].

١٤- قوله ﷺ: «الناسُ ولد آدم، وآدم من تراب»[١٠].

١٥- قوله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»[١١].

---

(١) رواه أحمد والترمذي وصحَّحه الألباني.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد وصحَّحه الألباني.

(٥) رواه أحمد وأبو داود وصحَّحه الألباني.

(٦) متفق عليه.

(٧) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصحَّحه الألباني.

(٨) رواه أحمد والترمذي وحسَّنه الألباني.

(٩) رواه الطبراني والبزار وحسَّنه المنذري.

(١٠) رواه ابن سعد وحسَّنه الألباني.

(١١) متفق عليه.

هذا ـ والله ـ كلام نبي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، يؤكد ذلك أن هناك آلافًا من هذه الأحاديث والأقوال الرائعة في كافة شؤون الحياة ومناحيها، فكيف لهذا اليتيم الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب، ولم يدرس، ولم يتعلم، وقد عاش في بيئة صحراوية منعزلة بين جبال مكة، كيف له ـ إن لم يكن نبيًّا ـ أن يقول هذا الكلام؟ بل كيف له أن يأتي بتلك الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان، حتى أن العلامة «شبرل» العميد السابق لكلية الحقوق بجامعة فيينا يقول: «إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمدٍ إليها، إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة»[1]!!

القدرة على الإقناع

كان للنبي محمد ﷺ قدرة فائقة على الإقناع والتأثير على القلوب، وتبديلها من الكفر إلى الإيمان في لحظات معدودة. والنبي ﷺ كان يميل في دعوته ومناقشاته إلى الإقناع والحوار، ولم يستخدم العنفَ قط وسيلة للإقناع، بل كان ﷺ ينهى عن العنف ويقول: «إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[2]، وقال: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيءٍ إلا شانه»[3]، فليس في الإسلام إقناع بالعنف أو حوار بالإكراه، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ

---

(١) «الإسلام شريعة الزمان والمكان» ـ عبدالله ناصح علوان ـ ص(٧٨).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩].

ومن الأمثلة على ذلك: أن قريشًا أرسلت «عتبة بن ربيعة» وهو رجل رزين هادئ لمفاوضة النبي ﷺ من أجل التخلي عن دعوته، فذهب إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أخي! إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمرٍ عظيم، فرقتَ به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا لعلك تقبل بعضها:

- **إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً**، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً.
- **وإن كنت تريد شرفًا**، سوّدناك علينا، فلا نقطع أمرًا دونك.
- **وإن كنت تريد ملكًا**، ملّكناك علينا.
- **وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه**، لا تستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا، حتى تبرأ.

فانتظر النبي ﷺ حتى فرغ من كلامه، ثم تأكد من ذلك بسؤاله قائلاً: أفرغتَ يا أبا الوليد؟ قال: نعم.

فتلا عليه رسول الله ﷺ صدر سورة فصلت: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ [فصلت: ١-٧]. حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣].

فلما سمع عتبة ذلك وضع يده على جنبه، وتغير وجهه، وكأن الصواعق

تلاحقه، ثم عاد إلى قومه مقترحًا عليهم أن يتركوا محمدًا وشأنه! هكذا لمجرد حوار بسيط، لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ إلا ببعض آيات من القرآن، لكنه اختارها بعناية، حتى أن عتبة الذي ذهب ليتخلى محمد ﷺ عن دعوته، عاد لينصح قومه بالتخلي عن محاربتهم محمدًا ﷺ!

وهذا حوار آخر أجراه النبي ﷺ مع شاب، قد ثارت عليه شهوته، فذهب إلى النبي ﷺ ليأذن له في الزنا، فلم ينهره النبي ﷺ ولم يقهره، ولم يعنفه، ولم يوبخه، مع أن الزنا في الإسلام من كبائر الذنوب والمعاصي، فلما قال الشاب: يا رسول الله ائذن لي في الزنا.

قال له النبي ﷺ: «**أتحبه لأمك**»؟

قال الشاب: لا والله، جعلني الله فداك.

قال له النبي ﷺ: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. أفتحبه لابنتك**»؟

قال الشاب: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك.

قال النبي ﷺ: «**ولا الناس يحبونهم لبناتهم**»؟

ثم قال له النبي ﷺ: «**أتحبه لأختك، أتحبه لعمتك، أتحبه لخالتك**»؟

والشاب يقول: لا.. لا.. لا.

ثم وضع النبي ﷺ يده عليه، ثم قال: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصّن فرجه**». فذهب عن هذا الشاب ما كان يجد[1].

بهذا الأسلوب التربوي الرشيد كان محمد ﷺ يربي أصحابه على مكارم الأخلاق والانتصار على النفس الأمّارة بالسوء، حتى لا يكون الإنسان عبدًا لشهواته تذهب به حيث شاءت، وتتحكم فيه كما تريد.

وهناك قصة أخرى تبين قدرة النبي ﷺ على الإقناع وذلك باستخدام أسلوب

---

(١) رواه أحمد.

التشبيه، فقد جاء إليه أعرابي فقال له: إن امرأتي ولدت غلامًا أسود، وإني أنكرتُه. أي أراد إنكار أن يكون ابنًا له لمخالفة لونه لون أبويه.

فقال له رسول الله ﷺ: **«هل لك من إبل؟»**.

قال: نعم.

قال النبي ﷺ: **«فما ألوانها؟»**.

قال: حُمر.

قال النبي ﷺ: **«هل فيهن من أورق»**[١].

قال: نعم.

قال النبي ﷺ: **«فأنى ترى ذلك جاء؟»**.

قال: يا رسول الله! عرقٌ نَزَعها[٢].

فقال النبي ﷺ: **«ولعلّ هذا عرق نزعه»**[٣].

فبين له النبي ﷺ بهذا الأسلوب الحواري الرصين، أن المرأة البيضاء قد تلد الأسود، واعتمد في ذلك على ما يعرفه الأعرابي من نتاج الإبل.

❊ ❊ ❊

(١) الأورق: المائل إلى السمرة.

(٢) أي جذبت إلى أصلها من النسب فأشبهته.

(٣) متفق عليه.

الصـــدق والأمانـــة

كان محمد ﷺ يعرف في قومه بالأمين، وهو لقب لا يصل إليه إلا من بلغ الغاية في الصدق والأمانة ومكارم الأخلاق.

إذن فلماذا كذبوه وآذوه و عادوه؟

أجاب عن ذلك القرآن بقوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، أي إنهم ليعلمون صدقك، ولكنهم لا يريدون الإيمان، لأن الإيمان سوف يفقدهم مكانتهم وزعامتهم المبنية على الظلم والطغيان واستعباد الناس. فالإسلام يسوّي بين الناس جميعًا، عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقول النبي ﷺ: «**من بطّأ به عمله، لم يسرع به نسبه**»(١)، فالناس - في الإسلام - سواسية كأسنان المشط، فلا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ولننظر إلى أشدّ الناس عداء للنبي ﷺ إنه أبو جهل، كان مع عداوته للنبي ﷺ يعلم أنه صادق، ولذلك لما سأله رجل: هل محمد صادق أم كاذب؟ قال له: ويحك! والله إن محمدًا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصيّ باللواء والسقاية، والحجابة والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟!

فالتكذيب إذن إنما هو بسبب التوازنات بين القبائل، وبسبب الخوف من ذهاب المكانة والهيمنة، وليس بسبب الشك في صدق النبي ﷺ.

وأما جانب الأمانة، فقد تزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، تلك

---

(١) رواه مسلم.

المرأة الثرية، لأمانته وكريم أخلاقه حيث كان يشرف على تجارتها بالشام.

ومن أمانته أن أهل قريش - مع كفرهم به - كانوا يضعون عنده أموالهم ليحفظها لهم، ولمّا أذن الله له بالهجرة إلى المدينة، ترك ابن عمه عليًّا رضي الله عنه في مكة لتسليم الأمانات إلى أهلها، مع أن الكفار كانوا يصادرون أموال المهاجرين، إلا أن النبي ﷺ لم يأخذ أموالهم عوضًا عن ذلك، بل أمر بردِّها إلى أصحابها.

لقد قال النبي ﷺ في مدح الصدق وأهله، وذم الكذب وأهله: **«إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدقُ حتى يكتب عند الله صديقًا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب، حتى يكتب عند الله كذابًا»**[1].

* * *

(١) متفق عليه.

كمـــال العقـــل

لقد كان النبي ﷺ موفور العقل، كامل الفكر، صحيح النظر، صائب الرأي، «ويتجلى كمال عقله ﷺ وسعة فكره في مواجهته للعالم الذي انتشرت الجاهلية في جميع طبقاته، حتى ضلت عقولهم، فتحويل هذه العقلية الجاهلية إلى عقلية لطيفة صائبة أمرٌ يحتاج إلى عقل رجيح وفكر صحيح، وهو ما كان عليه عقل النبي ﷺ.

ولا ريب أن ذلك كان بتعاليم أحكم الحاكمين، وبوحي رب العالمين، ولكن التعاليم الإلهية، والإيحاءات الربانية لا يَشْرُف بها إلا صاحب عقلٍ كبير مشرق منير، قد أعدّه الله لحملها.

- **ويتجلى كمال عقله ﷺ في أساليب حُجّته على عبدة الأوثان،** وأدلته على اليهود و النصارى، وإلزامهم الحجة، وإفحامهم، و إلقامهم حجر الخذلان.

- **ويتجلى كمال عقله ﷺ في تعليم الشاب الذي جاءه يستأذنه في الزنا** ـ وقد تقدم ـ.

- **ويتجلى كمال عقله ﷺ في حكمه يوم حَكَّمته قريش في وضع الحجر الأسود.** وذلك أن قريشًا لمّا بَنَتْ الكعبة، اختصموا فيمن يضع الحجر الأسود في موضعه، فكانت كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، لتنال بذلك شرف و ضعه، حتى أنهم اختلفوا في ذلك، وكادوا أن يقتتلوا. ثم إنهم اتفقوا على تحكيم أول رجلٍ يدخل عليهم، فكان محمد ﷺ هو أول داخلٍ، فاستبشروا بذلك وقالوا: هذا الأمين، هذا محمد، رضينا به حكمًا. فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، طلب النبي ﷺ منهم ثوبًا، ثم أخذ الحجر فوضعه فيه بيده،

ثم طلب من رئيس كل قبيلة أن يأخذ بطرف من الثوب، ثم يقومون جميعًا برفع الثوب حتى يحاذي الحجرُ موضعه، فلما فعلوا ذلك أخذ النبي ﷺ الحجر، ووضعه بيده في موضعه، فهدأت بذلك النفوس، وسكنت الفتنة»(١).

وهذا يدل على أن النبيَّ ﷺ لم يكن شخصًا انعزاليًّا، بل كان يشارك قومه همومهم وقضاياهم ومشكلاتهم.

ومما يشير إلى ذلك أنه ﷺ شارك مع قومه «حلف الفضول» حيث تحالفوا فيه على نصرة المظلوم، والأخذ على يد الظالم، وشهد ﷺ مع قومه بناء الكعبة، وكان ينقل الحجارة معهم بيديه، وكان ذلك كله قبل بعثته، غير أنه كان ـ كما ذكرنا ـ لا يشارك قومه في جاهليتهم وفجورهم ووثنيتهم.

ومما يدل ـ أيضًا ـ **على كمال عقل النبي وذكائه** أنه في غزوة بدر أراد النبي ﷺ أن يعرف عدد جيش المشركين، فأسر المسلمون غلامين لقريش كانا يمدّانهم بالماء. فسألهما رسول الله ﷺ: كم القوم. فقالا: كثير. قال: ما عددهم؟ قالا: لا ندري. قال: كم ينحرون من الإبل كل يوم؟ قالا: يومًا تسعًا، ويومًا عشرًا. فقال رسول الله ﷺ: هم بين تسعمائة وألف. فكانوا خمسين وتسعمائة. وهذا أيضًا يدلّ على الذكاء والحنكة.

الصبر والشجاعة

ذكرنا أن النبيَّ ﷺ لقي من قومه صنوف الأذى والاضطهاد والتآمر على القتل والنفي، ومع ذلك كان ﷺ يقابل ذلك بالصبر الجميل، والدفع بالتي هي أحسن، وليس هذا عن ضعف ومهانة، ولكن عن قوة وثبات، رجاء أن يهدي الله هؤلاء المتآمرين المستهزئين.

---

(١) انظر: «محمد ﷺ الإنسان الكامل»، محمد بن علوي المالكي، ص(٣٤، ٣٥).

كان النبي ﷺ يصلي ذات يوم، فجاء عقبة بن أبي معيط بأحشاء جمل، فوضعه على ظهر النبيّ ﷺ وهو ساجد، فلم يزل رسول الله ﷺ ساجدًا، حتى جاءت ابنته فاطمة فألقته عن ظهره[(١)].

وفي حادثة أخرى جاء هذا الرجل نفسه، فأمسك بثوب رسول الله ﷺ وخنقه به خنقًا شديدًا، حتى جاء أبوبكر صاحب النبيّ ﷺ، فدفعه عنه وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨][(٢)].

لم يكن سكوت رسول الله ﷺ وصبره على هذا الأذى ضعفًا أو خوفًا أو رهبة من مواجهة هؤلاء، بل كان رحمة بهم، وطمعًا في التأثير عليهم وهدايتهم إلى الحق، يدلّ على ذلك أنه كان ﷺ يشتد معهم في بعض المواقف، ويواجههم بما يكرهون، فلا يجرؤ أحد منهم على مواجهته.

ومن المواقف الدالة على ذلك: أن زعماء قريش اجتمعوا يومًا في الحرم، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قطّ، سفّه أحلامنا، وشتم آباءنا، و عاب ديننا، وفرّق جماعتنا، وسبَّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على عظيم.

فبينما هم على ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي، حتى استلم الركن، ثم مرَّ بهم طائفًا بالبيت، فلما مرَّ بهم تكلموا عليه ببعض القول. فتغيّر وجه النبي ﷺ، ثم استمر ﷺ في الطواف حول البيت، فلما كان في الشوط الثالث تكلموا عليه مرة أخرى، فالتفت إليهم ﷺ وقال: «**تسمعون يا معشر قريش! أما والذي نفس محمدٍ بيده! لقد جئتكم بالذّبح**» فأخذت القومَ كلمتُه، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طير واقع، حتى أن أشدهم عليه قبل ذلك

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

يترضاه بأحسن ما يجد من القول فيقول: انصرف يا أبا القاسم! انصرف راشدًا، فوالله ما كنت جهولاً[١].

فانظر كيف صبر النبي ﷺ على الأذى في الموقف الأول والثاني، حيث كان المعتدي فردًا، ولم يكن النبي ﷺ ينتقم لنفسه قط.

وانظر إليه في الموقف الثالث حيث كان وحيدًا وسط جماعة من زعماء قريش، فلما غمزوه ببعض القول وقف لهم في قوة و ثبات قائلاً: «**أتدرون يا معشر قريش، لقد جئتكم بالذبح**».

إنها الحكمة النبوية التي تقتضي التعامل مع كل موقف بما يقتضيه من شدة ولين، وهذا هو الكمال المطلوب في نبيّ هو خاتم الأنبياء، وفي رسالة هي خاتمة الرسالات السماوية.

لقد جاء في الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال: «**لا تقاوم الشرّ، بل كل من ضربك على خدك الأيمن، فأعطه خدّك الأيسر**».

وهذا يبين أن رسالة المسيح عليه السلام رسالة محلية وقتية لا تصلح لكي تكون رسالة عالمية، لأنها كانت تسبح في عالم من المثالية، اقتضته الظروف التي كان يعيش فيها المسيح عليه السلام، ولذلك فإنها لا تقدم حلولاً للمشكلات والقضايا المتجددة، ومن هنا كان أول من هجر تعاليم المسيح عليه السلام هم أتباعه المتنسبون إليه.

أعظم العظماء

هل تعلمون أن «مايكل هارت» وضع كتابًا أسماه «العظماء مائة أولهم محمد» ﷺ، بدأ سلسلة العظماء بالنبي محمد ﷺ، بينما أخّر المسيح عليه

---

(١) رواه أحمد.

السلام الذي هو إلهه ومخلّصه إلى المرتبة الثالثة!

أتدرون لماذا أخّر المسيح وقدّم محمدًا ﷺ؟ لنستمع إليه وهو يجيب على هذا التساؤل قائلاً: «يجوز أن يُدهِشَ اختياري محمدًا ﷺ ليكون على رأس قائمة أكثر الأشخاص تأثيرًا في العالم بعضَ القراء، وربما كان ذلك عرضة للاستفسار من آخرين. **ولكنه كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي تحقق له النجاح الكامل ـ كل الكمال ـ على المستوى الديني وعلى المستوى الدنيوي.**

لقد وضع محمد ﷺ أسس واحدٍ من أعظم الأديان في العالم، وقام بنشرها استنادًا إلى وسائل جدّ ضئيلة، وأصبح أيضًا قائدًا سياسيًّا عظيم التأثير، وبعد أكثر من ثلاثة عشر قرنًا بعد وفاته لا يزال تأثيره قويًّا واسع الانتشار».

ثم ذكر بعد ذلك جهود النبي ﷺ في توحيد القبائل العربية، وذكر شيئًا من الفتوحات الإسلامية المدهشة، التي استطاع المسلمون من خلالها في أقل من قرن أن يستخلصوا لأنفسهم إمبراطورية تمتد من حدود الهند إلى المحيط الأطلسي، وهي أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ حتى الآن، ثم ذكر انتشار الإسلام في أماكن بعيدة عن أراضي الفتوحات الإسلامية كالهند وأفريقيا وأندونسيا، **فهذه البلاد دخلها الإسلام دون حرب أو قتال مما يدل على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف كما يُصَوّر.**

ثم ذكر «مايكل هارت» أن هناك سببين لتقديم نبي الإسلام ﷺ على المسيح عيسى عليه السلام.

السبب الأول: **أن تأثير النبي محمد ﷺ في الإسلام كان أقوى من تأثير المسيح عليه السلام في المسيحية**؛ لأن القديس بولس هو المسؤول عن تطوير اللاهوت المسيحي، وهو الذي وضع أسس الدعوة إلى الدين المسيحي، وهو مؤلف الجزء الأكبر من نصوص العهد الجديد.

السبب الثاني: أن النبي محمدًا ﷺ إضافة إلى قيادته الدينية كان قائدًا دنيويًّا، ولم يكن ذلك هو شأن المسيح عليه السلام، واستدل على ذلك بأن محمدًا ﷺ يعتبر بحق القوة الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية، ولا يوجد أي سبب يبرر القول بأن هذه الفتوحات كان يمكن أن تحدث دون وجوده.

ولما تكلم «مايكل هارت» عن المسيح عليه السلام ذكر من أقواله: **«أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، افعلوا الخير مع الذين يكرهونكم»**.

وقوله: **«لا تقاوم الشرَّ، بل كلّ من ضربك على خدّك الأيمن فأعطه خدّك الأيسر»**.

وذكر أن هذه الأفكار غير واقعية ولذلك لم يتبعها أحد، فهي غير مقبولة، والمسيحيون ينظرون إليها على أنها أفكار مثالية لا تصلح لقيادة سكان الأرض، وقال: نحن لا نمارسها، ولا ننتظر من أي إنسان أن يمارسها.

إننا لا نريد من خلال ذلك أن نقلل من شأن المسيح عليه السلام؛ لأن المسلم يعتقد أن المسيح عليه السلام من أعظم الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى الناس. ولكن الذي لم يستطع «مايكل هارت» أن يفهمه هو الفرق بين الرسالة العالمية والرسالة المحلية. فإن رسالة المسيح عليه السلام هي رسالة خاصة ببني إسرائيل، والمسيح عليه السلام هو الذي قال ذلك، ففي إنجيل متّى (١٥: ٢٤) قال المسيح: **«لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة»**. وهذا يفيد أن رسالة المسيح عليه السلام موجهة لليهود وحدهم، وقاصرة على تقويم الضالين من اليهود، كما قال عليه السلام في إنجيل متّى (٥/ ١٧): **«لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئتُ لأنقض بل لأكمل»**. فرسالته حسب قوله هي استكمال لرسالة موسى عليه السلام، وموجهة لبني إسرائيل دون غيرهم.

أما فكرة عالمية المسيحية فليس هناك شك في أن بولس هو من قال بها

وليس المسيح عليه السلام[١].

فأين هذا من قول الله في شأن محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقول النبي ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يُعطهنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلي: نُصِرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلَت لي الأرض مسجدًا وطهوراً، فأيما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ، وأُحِلَّت لي الغنائم، ولم تحُلّ لأحدٍ قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، و بعثت إلى الناس عامة**»[٢].

وعند مسلم في صحيحه: «**وختم بي النبيون**».

فمحمدٌ ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فليس بعده نبي وليس بعده رسالة، ولذلك لا يوجد في شريعته ﷺ ما يرفضه العقل الصحيح. أما شريعة المسيح عليه السلام، فقد كانت صالحة لفترة زمنية محدودة ولليهود خاصة، ولذلك فإن أكثر المسيحيين اليوم قد أعرضوا عن تعاليم كتابهم المقدس، لأنهم يرون أنها تعاليم غير واقعية، لا تصلح لقيادة العالم كما قال «مايكل هارت».

نبيُّ الرحمة

لو سألتني: ما هي أخصُّ صفات النبي ﷺ لأجبتك: إنها صفة الرحمة.

وقد مدحه الله تعالى بها فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) «خرافات التوراة والإنجيل»، محمد حسني يوسف، ص(٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) متفق عليه.

وقال النبي ﷺ: **«إني لم أبعث لعّانًا، وإنما بعثت رحمة»**[(١)].

كان ﷺ يدخل في الصلاة ويريد إطالتها، فيسمع بكاء الصبي فيقصر الصلاة رحمة به وبوالدته.

وكان النبي ﷺ يذهب إلى أعالي قرى المدينة، حيث كان ابنه إبراهيم يستكمل رضاعه هناك، فكان يذهب إليه من أجل أن يُقبله ثم يرجع[(٢)]!

وكان ﷺ يقبِّل الحسن بن علي، فقال له الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت واحدًا منهم. فقال رسول الله ﷺ: **«إنه من لا يرحم، لا يُرحم»**[(٣)].

وكان ناس من الأعراب قد وفدوا على رسول الله ﷺ فقالوا: أتُقَبِّلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم. فقالوا: لكنّا والله ما نُقَبِّل صبياننا. فقال رسول الله ﷺ: **«أوأملك إن كان الله قد نزع الرحمة منكم»**[(٤)].

ولما أشرف إبراهيم ابن النبي ﷺ على الموت، حمله إليه، وضمّه إلى صدره، ثم دمعت عيناه وقال: **«تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون»**[(٥)].

ولما مات ابن ابنته فاضت عيناه. فقال له سعد بن عبادة: ما هذا يا رسول الله؟ قال: **«إنها رحمة، جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»**[(٦)].

ومن صور رحمة النبي ﷺ بالأطفال أن غلاماً يهوديًا كان يخدم النبي ﷺ قد

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الحديث رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

(٦) متفق عليه.

مرض، فزاره النبي ﷺ. ثم قال له: «**قل لا إله إلا الله**» فنظر الغلام إلى أبيه. فقال له: أطع أبا القاسم. فقالها الغلام. فقال النبي ﷺ: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان يزور الأنصار، ويسلّم على صبيانهم، ويمسح رؤوسهم»(٢).

وكان ﷺ يمازح الأطفال ويداعبهم، فقد زار غلامًا اسمه أبو عمير كان له نُغر - وهو الطائر الصغير - يلعب به، فمات هذا الطائر، فحزن عليه الصبي. فقال له النبي ﷺ: «**يا أبا عمير! ما فعل النغير**»(٣). يفرحه بذلك.

وكان ﷺ يصلي وهو حامل أمامة بنت ابنته زينب، فإذا قام حملها، وإذا سجد وضعها(٤).

وفي إحدى صلوات العشاء، خرج النبي ﷺ على أصحابه، وهو حامل حسنًا أو حسينًا ابن ابنته فاطمة. فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه، ثم كبّر للصلاة، فصلى، فسجد في صلاته سجدة أطالها جدًّا، فرفع رجل رأسه فإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد. فلما انتهت الصلاة قال الناس! يا رسول الله، إنك سجدت في صلاتك سجدة أطلتَها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك. فقال: «**كلُّ ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحَلني، فكرهتُ أن أعجّله، حتى يقضي حاجته**»(٥).

أما معاملته ﷺ للخدم، فكانت مثالاً للرحمة والشفقة والتكريم، ويكفي في

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه النسائي وصحَّحه الألباني.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه النسائي و صحَّحه الألباني.

ذلك قول خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفّ قط، وما قال لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أ فعله: ألا فعلت كذا»(١).

وكانت الأمة تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث أرادت في حاجتها(٢).

وكان ﷺ لا يصبر على ظلم الضعفاء والخدم وبخاصة إذا كانوا عبيدًا، فعن أبي مسعود الأنصاري قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط. فسمعت من خلفي صوتًا: «**اعلم أبا مسعود**» فلم أفهم الصوت من الغضب. قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ، فقال: «**اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود**». قال: فألقيت السوطَ من يدي. فقال: «**اعلم أبا مسعود أن الله تبارك وتعالى أقدر عليك منك على هذا الغلام**». قال: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا. وفي رواية: قال: يا رسول الله! هو حرٌّ لوجه الله. فقال رسول الله ﷺ: «**أما لو لم تفعل لَلَفَحتْك النار، أو لمسَّتْك النار**»(٣).

فها هو ﷺ يجعل أي إساءة إلى العبد المملوك سببًا لحريته، وقد قال ﷺ مؤكدًا هذا المعنى: «**من لطم مملوكًا له، أو ضربه فكفّارته أن يعتقه**»(٤).

فمَن أنصف العبيد وحرّرهم قبل محمد ﷺ؟

ومِن صور رحمته ﷺ بالأعراب الجهلة أن أعرابيًّا دخل مسجد النبي ﷺ، فجعل يبول في المسجد. فزجره أصحاب النبي ﷺ. فقال النبي ﷺ: «**دعوه، لا تزرموه**» أي لا تجعلوه يقطع بوله لئلا يتضرر، فتركوه حتى أتم بوله. ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر،**

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه ابن ماجه وصحّحه الألباني.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أبو داود وصحَّحه الألباني.

إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن»(١).

وهذا رجل آخر جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكت! قال: **«وما أهلكك؟»** قال: وقعت على زوجتي وأنا صائم في رمضان. ومعلوم أن عقوبة مَن يفعل هذا في الإسلام أن يحرر عبدًا من الرق، فإن لم يجد فيصوم شهرين متتابعين، فإن لم يجد فيطعم ستين مسكينًا مرة واحدة. فقال له النبي ﷺ: **«هل تجد ما تعتق رقبة؟»** قال الرجل: لا. فقال رسول الله ﷺ: **«فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟»** فقال الرجل: لا. فقال رسول الله ﷺ: **«فهل تجد ما تطعم ستين مسكينًا؟»** فقال الرجل: لا.

ثم جلس الرجل، فأُتي النبي ﷺ بتمر كثير، فأعطاه الرجل وقال له: **«تصدّق بهذا»** فقال الرجل: أعلى أفقر منا؟ فما في المدينة أهل بيت أحوج إليه منا. فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال للرجل: **«اذهب فأطعمه أهلك»**(٢).

فانظر إلى هذا المثال الرائع، فقد كان هذا الرجل يستحق العقوبة، ولكنَّ أمره انتهى بهدية من النبي ﷺ يأكل منها هو وعياله، فأي قلبٍ هذا القلب النبوي؟ وأي رحمة تلك التي وزعها النبي ﷺ على الناس.

لقد اتسع صدر النبي ﷺ لرحمة أعدائه الذين كذبوه وآذوه، وضربوه وأخرجوه من بلده، وتآمروا على قتله، وحاصروه وعذبوا أصحابه، فنسي ﷺ كل تلك الآلام، لأن صدره ﷺ لم يكن يحمل حقدًا ولا كراهية، بل كان يحمل الحب والخير والنفع للناس كافة.

ها هو ﷺ يدخل مكة فاتحًا منتصرًا، بعد سنوات طويلة من الدعوة والجهاد والتضحية، دخلها النبي ﷺ وهو مطأطئ الرأس تواضعًا لله عز وجل، لا كما

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

يفعل قادة الجيوش المتكبرون، ووقف مشركو مكة ينظرون إلى موكب النبي ﷺ وحوله الفرسان يرفعون الرايات، وقد استعادوا في ذاكرتهم كل ما فعلوه برسول الله ﷺ وأصحابه، فقد كذبوه وآذوه، وطردوه من بلده، وتآمروا على قتله، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، وساموا أصحابه أشد أنواع العذاب والتنكيل، فها هم الآن يواجهون مصيرهم المجهول.

انتظر أهل مكة ماذا سيفعل بهم هذا القائد المنتصر، بعد أن تمكن منهم وأصبحوا أسرى بين يديه.

فكانت أول إشارات العفو والرحمة عندما قال أحد أصحابه: اليوم يوم الملحمة، أي يوم الانتقام والمجازاة بالمثل. فقال له النبي ﷺ: «**بل اليوم يوم المرحمة**»[١] أي يوم الرحمة والعفو، ثم توجه ﷺ إلى أهل مكة قائلاً: «**ما تظنون أني فاعل بكم؟**» قالوا: خيرًا؛ أخٌ كريم، وابن أخ كريم. فقال لهم النبي ﷺ: «**أقول كما قال أخي يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

فانطلقوا في ذهول، وكأنهم بعثوا من قبورهم، ودخل كثير منهم في الإسلام، بسبب هذا الموقف الرائع الذي يدل على طهارة قلب النبي ﷺ وبراءته من أدران الغل والكراهية والحقد والبغضاء.

وهذا موقف آخر يبين عظمة هذا النبي وسلامة صدره، واتساع قلبه لرحمة أشدّ المعاندين والمؤذين. فقد مات أبوطالب، وماتت خديجة، ففقد النبي ﷺ بذلك جناحيه الذين كان يطير بهما. فاشتدَّ عليه بعد فقدهما الأذى، فخرج ﷺ إلى الطائف لدعوة قبائلها إلى الإسلام، لعلّه يجد قلوبًا منفتحة تقبل الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك. ولكنه وجد التكذيب والعناد والتهور ينتظره، فقد آذاه أهل

---

(١) رواه البخاري.

الطائف، وأغروا به سفهاءهم، فرموه بالحجارة حتى أدموا عقبيه، فقرر الرجوع إلى مكة، وبينما هو في الطريق يهيم على وجهه، وهو مهموم حزين، يسيل دمه من الحجارة، ودمعه من التكذيب والإهانة، إذا بسحابة قد أظلتْه وهو بموضع يقال له: «قرن الثعالب» فنظر فإذا فيها جبريل عليه السلام. فناداه فقال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد أرسل لك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. ثم ناداه ملك الجبال فسلم عليه ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا مَلَك الجبال وقد بعثني إليك ربك لتأمرني فيهم بما شئت، إن شئتَ أن أطبقُ عليهم الأخشبين - أي أطبق عليهم الجبلين المحيطين بمكة فيهلكوا جميعًا - فقال رسول الله ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»[1]. أبىٰ ﷺ أن يكون سببًا في هلاكهم واستئصالهم، نسي جراحه التي تسيل، نسي التكذيب والإهانة، ورجا لهم الهداية، وأن يخرج الله من ذرياتهم من يوحد الله ولا يشرك به شيئاً.

وتتجاوز رحمة النبي ﷺ البشر لتشمل الحيوان الذي لا يأبه به كثير من الناس، ولكن رسول الله ﷺ يرحم الحيوان، ويقرر حقوقه قبل إنشاء منظمات الرفق بالحيوان بمئات السنين.. فقد قال عليه السلام: «**عُذّبت امرأة في هِرَّة، سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذا حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»[2]، فهل هناك قانون في الأرض يجعل إنسانًا يعذّب في النار بسبب هرّة حبسها حتى الموت؟ إنه قانون محمد ﷺ.

وكما أخبر النبي ﷺ عن امرأة دخلت النار في هرة، فقد أخبر عن امرأة أخرى دخلت الجنة بسبب كلب سَقَتْه. فقد قال ﷺ: «**إن امرأة بغيًا، رأت كلبًا في**

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

يوم حار، يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له بموقها، فغُفِر لها»(١).

فهذه امرأة زانية، نظر الله إلى ما في قلبها من رحمة، فوفقها إلى التوبة، وغفر لها بسبب كلب كاد يموت من العطش سقته.

وهذه لوحة أخرى رائعة من لوحات الرحمة المحمدية، فقد دخل النبي ﷺ بستانًا لرجلٍ من الأنصار، وإذ في البستان جمل، فلما رأى النبيَّ ﷺ حنَّ، وذرفت عيناه، فأتى إليه رسول الله ﷺ، وعلم أنه يشكو إليه ظلمًا أصابه، فمسح على رأسه، فسكن، ثم قال: «**من ربُّ هذا الجمل؟**» فجاء شاب من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله! فقال نبي الرحمة ﷺ: «**ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي مَلّكك الله إياها؟ فإنه شكى إليَّ أنك تجيعه وتدئبه**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**ما من إنسانٍ يقتل عصفورًا فما فوقها بغير حقّها إلا سأله الله عنها يوم القيامة**». قيل: يا رسول الله! وما حقُّها؟ قال: «**أن يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها فيرمي بها**»(٣).

وقال ﷺ: «**لا تتخذوا شيئًا فيه الروح غرضًا**»(٤).

أي لا تتخذوا الحيوان الحي هدفًا ترمونه بسهامكم، وهذا ينطبق على ما يسمى «مصارعة الثيران» المشتهرة في أسبانيا وغيرها، فهذه اللعبة محرمة في الإسلام، لأنها ضدّ الرحمة، حيث إن الحيوان يتخذ هدفًا، ويضرب بالسهام، ويظل ينزف حتى الموت.

ومن صور رحمة النبي ﷺ بالطيور ما حدَّث به ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمّرةً ـ طائرًا ـ معها

---

(١) لفظ مسلم وهو في «الصحيحين».

(٢) رواه أحمد وأبوداود وصحّحه الألباني.

(٣) رواه النسائي.

(٤) متفق عليه.

فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمّرة تضرب بجناحيها. فقال النبي ﷺ: «من فجع هذه بولدها؟ ردّوا ولدها إليها» ورأى قرية نملٍ قد حرقناها فقال: «من حرّق هذه؟» قلنا: نحن. فقال: «إنه لا ينبغي أن يعذبَ بالنار إلا ربّ النار»(١).

جاءت إليك حمامة مشتاقة تشكو إليك بقلبِ صبّ واجف

من علّم الورقاءَ أن مقامكم حرمٌ وأنك ملجأ للخائفِ

وللجماد نصيب من الرحمة المهداة ﷺ، فقد روي بأسانيد صحيحة، أن النبي ﷺ لمّا صنع له المنبر، صاحت النخلة التي كان يخطب عليها صياح الصبي، فنزل النبيّ ﷺ من على المنبر، فضَمَّها إليه، فجعلت تئنُّ أنين الصبيّ الذي يُسَكّن. فقال: «بكت على ما كانت تسمع من الذكر»(٢).

كان الحسن إذا حدّث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ، فأنتم أحقّ أن تشتاقوا إليه.

التسامح والرفق

ومن أخلاق النبي ﷺ: التسامح والرفق بالناس ولو كانوا أعداء معاندين، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا، ذكرنا بعضها ونسوقُ أخرى على سبيل المثال لا الحصر:

- كان من تسامح النبي ﷺ مع اليهود أنه كان يزورهم ويقبل دعوتهم، ويأكل من طعامهم. وبعد فتح خيبر أهدت امرأة يهودية إلى النبي ﷺ شاةً مشوية، وكانت قد سألت: أيّ عضو من الشاة أحبّ إليه، فقالوا لها: الذراع، فأكثرت فيها السم، فلما أراد النبي ﷺ أن يتناول الذراع، أُخبر بأن الطعام مسموم، فقال لأصحابه: أمسكوا فإنها مسمومة، وكان أحد أصحابه وهو بشر بن البراء قد أكل

(١) رواه أبو داود وصحّحه الألباني.

(٢) رواه البخاري.

منها فمات من السم رضي الله عنه.

فسأل النبي ﷺ تلك المرأة: ما حملك على ذلك؟ قالت: أردت إن كنت نبيًّا فيطلعك الله، وإن كنت كاذبًا، فأريح الناس منك. فأعرض عنها النبي ﷺ ولم يعاقبها، لأنه كان لا ينتقم لنفسه ﷺ، ولكنه عاقبها بعد ذلك لما مات بشر بن البراء من السم، فقُتلت قصاصًا ببشر لا بمحاولة قتل النبي ﷺ.

ـ ومن ذلك أن جماعة من يهود، دخلوا على النبي ﷺ، فقالوا: السام عليكم. والسام هو الموت، يوهمون النبي ﷺ أنهم يقولون: «السلام عليكم» وهم في الحقيقة يدعون عليه بالموت. فقال لهم النبي ﷺ: «وعليكم». وكانت عائشة زوج النبي ﷺ حاضرة، فلما سمعتهم قالت لهم: وعليكم السام واللعنة وغضب الله عليكم. فقال لها النبي ﷺ: «مهلاً يا عائشة! عليك بالرفق، وإياك والعنفَ والفحشَ». فقالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: «أولم تسمعي ما قلت؛ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يُستجاب لهم فيَّ»[١].

ـ ومن ذلك أن قبيلة دوس كذبت وعصت وأبت أن تؤمن بالنبي ﷺ وأصرّت على الكفر و العناد، فجاء أبو الطفيل الدوسي وهو من نفس هذه القبيلة، فقال: يا رسول الله! إن دوسًا قد عصت وأبت، فادع الله عليها.

فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة، ورفع يديه إلى السماء. فقال الناس: هلكت دوس، هلكت دوس؛ لأن النبي ﷺ كان مستجاب الدعوة. فقال رسول الله ﷺ: « اللهم اهدِ دوسًا وائتِ بهم»[٢]، دعا لهم ﷺ بالهداية ولم يدع عليهم بالعذاب والهلاك.

* * *

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

رجـــل الســـياســـة

وشخصية النبي ﷺ شخصية سياسية تدرك عواقب الأمور، وتدير المعركة السياسية ببراعة فائقة، وكان ﷺ يميل إلى إبرام المعاهدات التي تحقن الدماء، وتوفر الأمن للجميع، ومن ذلك تلك المعاهدة التي أبرمها رسول الله ﷺ مع قريش وهي المعروفة بـ«صلح الحديبية»، وبموجب هذه الاتفاقية تتوقف جميع أعمال العداء والقتال بين الطرفين لمدة عشر سنين.

ولننظر كيف كان النبي ﷺ متسامحًا في سبيل إبرام هذه المعاهدة، وهو مع ذلك خبير بالمصالح التي يمكن أن تجنيها الجماعة المسلمة من وراء تلك المعاهدة، فهو تسامح مبني على خبرة وبُعد نظر. فقد دعا النبي ﷺ بعليّ بن أبي طالب فقال له: «**اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم**»، فقال سهيل بن عمرو مندوب قريش: أمسك! لا أعرف الرحمن الرحيم. بل اكتب باسمك اللهم.

فقال النبي ﷺ: «**اكتب باسمك اللهم**».

ثم قال: اكتب: «**هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو**».

فقال سهيل: أمسِك! لو شهدتُ أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

فتردد عليّ كاتب النبي ﷺ، فمسح النبي ﷺ الكلام بيده، وأمره أن يكتب «**محمد بن عبدالله بدلاً من محمد رسول الله**».

ثم تعاهدوا على أن من أتى محمدًا ﷺ من قريش مسلمًا بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشًا من رجال محمدٍ ﷺ لم يردوه عليه، إلى غير ذلك من بنود هذا الاتفاق.

وهنا موقف في غاية الروعة، وهو مما يبين وفاء النبي ﷺ والتزامه بالمواثيق

والاتفاقات والمعاهدات؛ وذلك أنه في أثناء كتابة هذه الاتفاقية جاء ابن المفاوض نفسه مسلمًا، فقد دخل أبوجندل بن سهيل بن عمرو في الإسلام، ولقي من العذاب شيئًا عظيمًا، وها هو قد جاء يوسف[1] في قيوده، يريد أن يخلّصه إخوانه المسلمون من ذاك العذاب.. ولكن كيف ذلك؟ ومن شروط تلك الهدنة أن من جاء إلى رسول الله ﷺ مسلمًا دون إذن وليّه، لا يقبله، بل يردّه إلى أهله. فلما رأى سهيل ابنه قال: هذا أول ما أقاضيك عليه على أن تردّه.

فقال النبي ﷺ: «**إنا لم نقض الكتاب بعد**».

فقال سهيل: إذن والله لا أعاهدك على شيء أبدًا.

فقال النبي ﷺ: «**فأجزه لي**»[2].

فقال سهيل: ما أنا بمجيزه لك.

فقال النبي ﷺ: «**بلى فافعل**» قال: ما أنا بفاعل.

ثم تركه النبي ﷺ يأخذ ولده كما نصَّت عليه الاتفاقية، فقام سهيل إلى ابنه يضربه في وجهه، وقد أخذ بتلابيبه يجرّه ليردّه إلى المشركين، وجعل أبوجندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أأُردُّ إلى المشركين يفتنوني في ديني.

فاغتم المسلمون لذلك أشدّ الغم، إلا أنه ليس من طاعة رسول الله ﷺ بدّ.

فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله، فلا نغدر بهم**»[3].

وهذه الاتفاقية على ما فيها من بنود جائرة إلا أنها كانت نصرًا للمؤمنين، فهي

---

(١) يرسف في قيوده: يمشي فيها رويدًا.

(٢) أي: اتركه لي.

(٣) حديث صلح الحديبية رواه البخاري.

تعتبر أول اعتراف رسمي بقوة النبي ﷺ وأصحابه، ولولا ذلك لما عقدت قريش معهم هذا الصلح، والأمر الثاني أن المستفيد من وقف القتال وأعمال العداء لمدة عشر سنين هم المسلمون، لأن قريشًا هي التي كانت تبدأ بالقتال وهي التي جيشت الجيوش، وأقامت التحالفات ضدّ الدعوة الوليدة، والأمر الثالث أنها كسرت احتكار قريش لإدارة المسجد الحرام، حيث إنها لم تنجح في صد النبي ﷺ وأصحابه عن المسجد الحرام إلا لعامٍ واحد فقط.

أما البند الذي عانى منه المسلمون، وهو تسليم من يأتي مسلمًا إلى المشركين، فقد أراد الله تعالى أن تكون قريش هي المطالبة بإلغائه، ولكن كيف حدث ذلك؟

لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، واطمأن بها، هرب رجل من المسلمين ممن كانوا يعذبون في مكة، وهو أبوبصير، رجل من ثقيف حليف لقريش، فذهب إلى النبي ﷺ. فأرسلت قريش في طلبه رجلين، وقالوا للنبي ﷺ: العهدَ الذي جعلتَ لنا. أي سلّم لنا هذا الرجل الهارب بموجب اتفاقية الصلح بيننا. فسلّمه النبي ﷺ إليهما. فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمرٍ لهم، فقال أبوبصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدًا، فاستلّه الآخر، فقال: أجل، والله إنه لجيد، لقد جرّبتُ به ثم جرّبت. فقال أبوبصير: أرني أنظر إليه، فأعطاه إياه، فضربه به حتى قتله. وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «**لقد رأى هذا ذعرًا**» فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتل صاحبي، وإني لمقتول.

فجاء أبوبصير وقال: يا نبيّ الله! قد ـ والله ـ أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم. فقال رسول الله ﷺ: «**ويل أمّه مِسْعَر حرب، لو كان له أحد**» فلما سمع ذلك عرف أنه سيردّه إليهم مرة ثانية، فخرج حتى أتىٰ البحرَ، وهرب

منهم أيضًا أبو جندل بن سهيل، فانضم إلى أبي بصير، وأخذ ينضم إليهم كلّ من أسلم من قريش حتى اجتمعت منهم عصابة قوية، فكانوا لا يسمحون بقافلة لقريش تريد الخروج إلى الشام إلا اعترضوها ونهبوا ما فيها، فعند ذلك أرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده إلغاء هذا البند من المعاهدة، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بصير ومن معه، فقدموا عليه المدينة، وانضموا إلى جماعة المسلمين(١).

هذا هو وفاء محمد ﷺ، وهذه هي سياسته وحنكته ورؤيته البعيدة لأمور قد تكون في ظاهرها تنازلًا وضعفًا إلا أنها في الحقيقة فتح ونصر وقوة.

رجــل الإدارة

وكان النبي ﷺ رجل إدارة من الطراز الأول، فكان يوزع المسؤوليات على أهلها ويدعو إلى تحمل كل واحدٍ مسؤوليته، وفي ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: **«كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته، فالإمام - أي الحاكم - راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيتها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مالِ سيده وهو مسؤول عن رعيته، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»**(٢).

وطهر النبي ﷺ الإدارات العامة والمصالح الحكومية من آفات الرشوة والفساد الإداري والمالي، فقال عليه الصلاة والسلام: **«لعن الله الراشي والمرتشي»**(٣).

---

(١) انظر: «الرحيق المختوم»، ص(٣٣٩).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد والترمذي وصحّحه الألباني.

وقال عليه الصلاة و السلام: «**من استعملناه على عملٍ، فرزقناه رزقًا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول**»[١] أي سرقة.

واستعمل النبي ﷺ رجلاً على صدقات بني سليم، فلما جاء حاسبه. فقال الرجل: هذا ما لكم، وهذا أهدي لي. فقال رسول الله ﷺ: «**فهلَّا جلستَ في بيت أبيك وأمك، حتى يأتيك هديتك إن كنت صادقًا**»[٢].

وكان للنبي ﷺ قراراته الحازمة في إدارة الكوارث، فإنه قبل تأسيس الحجر الصحي بين الدول بعشرات القرون، أصّل النبي ﷺ لهذا الحجر الصحي، وقضى في مسائل الصحة بفصل الخطاب، الذي لم يأت العلم بعده بمزيد، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا سمعتم بالطاعون بأرضٍ فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها، فلا تخرجوا منها**»[٣].

فتلك وصية من ينظر في تدبيره إلى العالم الإنساني بأسره، لا إلى سلامة مدينة واحدة أو سلامة فرد واحد، إذ ليس أصون للعالم من حصر الوباء في مكانه، وليس من حق مدينة أن تنشد السلامة لنفسها بتعريض المدن كلها لعدواها[٤].

ثبات في وجه الأحداث

وتمتاز شخصية النبي ﷺ بالقوة والثبات في وجه المحن والشدائد، والتصميم الجازم على بلوغ الهدف، مع الثقة التامة في الله تعالى، والإيمان بالقضية التي يعمل لأجلها، وقد ظهر ذلك في بداية الدعوة حيث كان النبي ﷺ

---

(١) رواه أبو داود وصحَّحه الألباني.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) «عبقرية محمد» للعقاد، ص(٦٥).

في قلة من أتباعه، فأراد المشركون أن يخذّلوا أبا طالب عن نصرة النبي ﷺ، وقد كان المدافع والمحامي عنه، فهددوه وقالوا له: يا أبا طالب! إن لك سنًّا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد طلبنا منك أن تكفَّ ابن أخيك عن سبِّ آلهتنا، وعيْبِ ديننا فلم تفعل، وإنا لا نصبر على ذلك، فإما أن تكفَّه عنا، أو ننازله وإياك، حتى يهلك أحد الفريقين منا.

فعظم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد، فبعث إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أخي! إن قومك قد جاؤوني وقالوا لي كذا وكذا، فأَبْقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق. فظنَّ رسول الله ﷺ أن عمه خاذله، وأنه ضعف عن نصرته، فقال قولته المشهورة التي تدلُّ على أعلى درجات القوة والثبات، قال: «**يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك دونه، ما تركته**». ثم بكى ﷺ وقام، فلما ولّى ناداه عمه أبوطالب. فلما أقبل قال له: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببتَ، فوالله لا أُسلمك لشيء أبدًا.

النبــي والمــرأة

لا أكون مبالغًا إذا قلت: إن محمدًا ﷺ هو المحرر الحقيقي للمرأة، لأنه ﷺ بعث في وقت لم يكن للمرأة فيه أية حقوق، وهذا أمر يطول إذا أردنا الخوض فيه، **ويكفي أن مجمع ماكون المسيحي اجتمع في القرن السادس للبحث في هذه القضية: هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه، أم هي جسم وروح؟ وقرروا أخيرًا أن المرأة خالية من الروح الناجية من عذاب جهنم ما عدا أم المسيح عليه السلام!!**

أما محمد ﷺ فقد أخبر عن مساواة المرأة للرجل في الإنسانية فقال: «إنما

النساء شقائق الرجال»[١]، وبيّن الله عز وجل في كتابه أن المرأة إذا عملت صالحًا فإنها ـ كالرجل ـ تنجو من العذاب في الآخرة، على عكس ما قرر هذا المجمع المسيحي. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

أخبر النبي ﷺ أنه يحب المرأة، ويدافع عنها، ويرفع عنها الظلم، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**حُبّب إليّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرةُ عيني في الصلاة**»[٢]. ونهى ﷺ عن ضرب النساء فقال: «**لا تضربوا إماء الله**»[٣].

وما ضرب النبيُّ ﷺ نساءه قط بيده. بل إنه ﷺ قال: «**خياركم خياركم لنسائهم**»[٤].

وأمر ﷺ بالصبر على النساء وعدم كراهتهن وإن أخطأن فقال: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا، رضي منها آخر**»[٥]. وهذا منهج سديد يدعو إلى البحث عن الإيجابيات وتجاهل السلوك السلبي؛ لأن تتبع السلبيات يؤدي إلى النفور والكراهية قال تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وأخبر النبي ﷺ أن الذي يسيء معاملة زوجته ليس من خيار المؤمنين، فقال

---

(١) رواه أحمد وأبوداود والترمذي.

(٢) رواه النسائي.

(٣) رواه أبوداود.

(٤) رواه أحمد والترمذي.

(٥) رواه مسلم.

عليه الصلاة والسلام: «**لقد أطاف بآل محمد ﷺ نساء كثير يشتكين أزواجهن، ليس أولئك بخياركم**»(١) أي ليس هؤلاء الأزواج الذين أساؤوا عشرة زوجاتهم بخياركم.

لقد عاشت المرأة المسلمة في البيت النبوي عيشة كريمة، مصانة غير مهانة، ولا محتقرة، ولا مستخَفّ بها، لا تؤذي، ولا تضرب، ولا تقبّح، ولا تهمل، ولا تُزدري، ولا تُكلف فوق ما تطيق، ولا تحرم من إبداء رأيها والإفصاح عما يجول في خاطرها.

قال ابن كثير رحمه الله: «وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، يتودد إليها بذلك. قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، وذلك قبل أن أحملَ اللحم، ثم سابقته بعدما حملت اللحم فسبقني. فقال: «**هذه بتلك**»(٢).

وكان يجتمع نساؤه كلّ ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كلّ واحدة إلى منزلها.

وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار و احد، يضع عن كتفيه الرداء، وينام بالإزار.

وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله، يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]»(٣).

---

(١) رواه أبوداود والنسائي.

(٢) رواه أحمد وأبوداود.

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٠٨، ٦٠٩).

فما أحسن عشرة النبي ﷺ لأزواجه، وما ألطفه بهن، وأحلمه عليهن، وأكرمه لهن.

وانظر إلى هذه اللوحة الفياضة بالمشاعر، والكلمات الجميلة بين زوجين أحدهما محمد ﷺ والثانية عائشة رضي الله عنها لتعرف مدى الرقة والحب الذي كانت تلقاه المرأة من النبي ﷺ. فقد قال ﷺ لعائشة: **«إني لأعرف غضبك ورضاكِ»** قالت: كيف تعرف ذلك يا رسول الله؟ قال: **«إنكِ إذا كنتِ راضية قلت: بلى ورب محمد، وإن كنت ساخطة قلتِ: بلى وربّ إبراهيم»** فقالت: أجل والله إني لا أهجر إلا اسمك[١]. أي أن حبك في قلبي ثابت لا يتغير.

ويستمر وفاء النبي ﷺ لزوجته خديجة رضي الله عنها حتى بعد وفاتها، فقد كان إذا أُتي بالهدية قال: **«اذهبوا بها إلى فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة»**[٢].

وكان ﷺ يشاور المرأة ويقبل مشورتها وذلك في أكبر القضايا، ولا ننسى أن أول من آمن به، وقدّم له الدعم المادي والمعنوي هي امرأة، أعني زوجته خديجة رضي الله عنها.

وفي صلح الحديبية لما فرغوا من كتابة بنود معاهدة الصلح، قال النبي ﷺ لأصحابه: **«قوموا فانحروا، ثم احلقوا»** فلم يقم منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلم يقم منهم أحد لشدة حزنهم على ما جاء في بنود هذا الصلح من تنازلات قدمها النبي ﷺ حقنًا للدماء، و رغبة في ا السلام، فدخل النبي ﷺ على زوجته أم سلمة رضي الله عنها، فذكر لها ما فعل أصحابه، وكانت امرأة حكيمة، فقالت: يا نبيّ الله! اخرج، ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة، حتى تنحر بُدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فأخذ ﷺ بمشورة هذه المرأة الصالحة؛ خرج ولم يكلم أحدًا

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الطبراني.

منهم، حتى فعل ما قالت؛ نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد يقتل بعضهم بعضًا[١] - أي يجرح بعضهم بعضًا من الغم والحزن.

وكان النبي ﷺ رجلاً سهلاً لينًا كما قال جابر رضي الله عنه: «**كان رسول الله ﷺ رجلاً سهلاً، إذا هويت - أي عائشة - الشيء تابعها عليه**»[٢].

ومن ذلك أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون. فقال النبي ﷺ: «**أتحبين أن تنظري إليهم؟**» فقلت: نعم. فأسندتُ وجهي على خدّه. فقال رسول الله ﷺ: «**حسبك**» فقلت: يا رسول الله، لا تعجل. فتركني ثم قال: «**حسبك**» فقلت: يا رسول الله، لا تعجل. قالت: وما بي حبّ النظر إليهم، ولكني أحببت أن يبلغَ النساءَ مقامُه لي[٣].

ولننظر إلى شأن المرأة في الجاهلية والإسلام فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **والله إن كنا في الجاهلية ما نعدُّ النساء شيئًا، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم**، فبينما أنا في أمرٍ أأتمره، إذ قالت لي امرأتي: لو صنعتَ كذا وكذا، فقلت لها: وما لك أنت؟ وما شأنكِ في أمرٍ أريده؟ فقالت لي: عجبًا لك يا ابن الخطاب! ما تريد أن تراجَع، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ، حتى يظلّ يومه غضبان!!

فلما سمع عمر ذلك أخذ رداءه، وخرج حتى دخل حفصة ابنته فقال لها: يا بنية! إنكِ لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظلّ يومه غضبان؟ فقالت: والله إنا لنراجعه[٤].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه النسائي وأصله في الصحيحين.
(٤) رواه مسلم.

لقد راعى النبي ﷺ حاجة المرأة الجنسية، ولذلك رغب الأزواج في إشباع تلك الحاجة لدى المرأة فقال عليه الصلاة والسلام: «**وفي بُضْع أحدكم صدقة**». قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟ قال: «**أرأيت لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ كذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر**»[١]. وحذر النبي ﷺ من إفشاء أسرار الفراش، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن من أشرّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه، ثم ينشر سرّها**»[٢].

ومن تكريم النبي ﷺ للمرأة أن نهى الأزواج عن سوء الظن بنسائهم وتلمسِ عثراتهن، فعن جابر رضي الله عنه قال: «**نهى رسول الله ﷺ أن يطرقَ الرجلُ أهله ليلاً يتخونهم، أو يلتمس عثراتهم**»[٣].

فأي تكريم للمرأة فوق هذا؛ أن يمنع الرجل الغائب عن بيته، أن يطرق أهله ليلاً دون أن يُعلم امرأته، إذا كان يقصد التجسس عليها، والشك في سلوكها.

لقد رغب النبي ﷺ في أن ينفق الزوج على زوجته بما يستطيع، ومع أن النفقة في الإسلام فريضة على الزوج، إلا أن النبي ﷺ أخبر بأن الزوج يؤجر على هذه النفقة، حتى يدفعه هذا الثواب والأجر إلى النفقة بطيب نفس وانشراح صدر. فقال عليه الصلاة والسلام: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرتَ عليها، حتى ما تجعله في فيّ - أي فم - امرأتك**»[٤]، وقال ﷺ: «**أفضل دينار: دينار ينفقه الرجل على عياله**»[٥]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الرجلَ**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

إذا سقى امرأته من الماء أُجر»(١).

لقد كان النبي ﷺ عطوفًا رحيمًا بالمرأة أيًا كان شأنها، وقد تقدم أن الأَمَة كانت تأخذ بيده فتنطلق به حيث شاءت في حاجتها. ويحدثنا أنس بن مالك عن عطف النبي ﷺ على المرضى من النساء فقال: إن امرأة كان في عقلها شيء. فقالت: يا رسول الله! إن لي إليك حاجة. فقال رسول الله ﷺ: «**يا أمَّ فلان! خذي في أيِّ الطريق شئت، قومي فيه، حتى أقومَ معك، فخلا معها رسول الله ﷺ يناجيها، حتى قضت حاجتها**»(٢).

احترم النبي ﷺ المرأة بنتًا وأختًا، فقال: «**من كان له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن، واتقى الله فيهن، فله الجنة**»(٣).

واحترم النبي ﷺ المرأة زوجة فقال: «**اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بكلمة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**»(٤).

واحترم النبي ﷺ المرأة أمًا. فقد جاء إليه رجل فقال: يا رسول الله! مَن أحق الناس بحسن صحابتي؟ فقال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال:« **أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»(٥).

واحترم المرأة أيًا كانت فقال: «**استوصوا بالنساء خيرًا**»(٦).

فماذا يريدون من محمد ﷺ بعد ذلك؟ ولماذا ينقمون عليه؟

ألأنه جعل للمرأة شأنًا وكرامة؟ وحفظها من استغلال تجار الجنس

---

(١) رواه أحمد وحسَّنه الألباني.

(٢) رواه البخاري معلقًا وأحمد وأبو داود.

(٣) رواه الترمذي وصحَّحه الألباني.

(٤) رواه مسلم.

(٥) متفق عليه.

(٦) متفق عليه.

وسماسرة الأعراض؟

ألأنه صان المرأة وجعلها درّة مكنونة وجوهرة مصونة، لا تطمع فيها الأعين الخائنة ولا تنالها الأيدي النجسة؟

قالوا: إن محمدًا ﷺ حبس المرأة في البيت! كذبوا، فقد كانت المرأة تخرج من البيت فتذهب إلى المسجد، وتذهب إلى السوق، وتبيع وتشتري، كما كانت تشارك في الجهاد فتسقي الجرحى، وتداوي جراحهم، مع أن الجهاد لم يفرض عليها، لأنَّ جهاد المرأة: الحج والعمرة.

قالوا: إن محمدًا ﷺ لم يعط المرأة حقوقها، ولم يستمع شكواها، ولم يستشرها في أي أمرٍ من الأمور!! كذبوا ـ والله ـ وقد قدمنا ما يدلّ على تهافت كلّ هذه الدعاوى فلا حاجة للإعادة.

قالوا: إن محمدًا ﷺ أباح تعدد الزوجات دون قيد أو شرط! كذبوا ـ والله ـ فقد قال ﷺ: «**من كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشِقّه مائل**»[1]. والله تعالى يقول: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ [النساء: ٣] أي فتزوجوا واحدة فقط.

قالوا: إن محمدًا ﷺ أباح ضرب المرأة! كذبوا، بل إنه ﷺ قال: «**لا تضربوا إماء الله**». ولكن هناك بعض الحالات النادرة التي أباح الإسلام فيها للزوج أن يضرب زوجته بالسواك والقلم ونحوه، والمراد بذلك التنبيه والأثر النفسي وليس الأثر الجسدي، أما النبي عليه الصلاة والسلام، فلم يكن يضرب نساءه، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن الذين يؤذون زوجاتهم ليسوا من خيار المؤمنين، ولكن

---

(1) رواه أحمد وأبوداود وصحَّحه الألباني.

الإسلام جاء ليغطي جميع الحالات التي يمكن أن تحدث للبشر، فكان منها تلك الحالة الفريدة.

ولننظر إلى حال المرأة في بلاد الغرب، بلاد الحضارة والمدنية. فقد أشارت دراسة أمريكية في عام ١٩٨٧م إلى أن ٧٩٪ من الرجال يقومون بضرب النساء وبخاصة إذا كانوا أزواجهم.

وفي دراسة أخرى أعدَّها [F.P.T] أن هناك زوجة يضربها زوجها كل (١٨) ثانية في أمريكا.

وفي إحصائية أعدها الاتحاد الأوربي عام ١٩٨٨م أظهرت أن امرأة من بين كل أربع نساء في دول الاتحاد يتعرضن للعنف، وتعتبر حوادث العنف الأسري الأكثر شيوعًا.

وأظهرت الإحصائية أن الجناة في نصف جرائم قتل النساء في أيرلندا هم من أزواجهن أو أصدقائهن.

وفي فنلندا تتعرض امرأة من بين كل خمس نساء للعنف على يد زوجها أو صديقها(١). فأين هذا من تعاليم محمد ﷺ ومعاملته لأهله.

كتبه

خالد أبو صالح

Bohager1964@yahoo.com

---

(١) موقع [BBC] على الإنترنت بتاريخ ٥/ ٥/ ٢٠٠م.

الفهرس

الموضوع | الصفحة

* * *